الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة د. مولاي الطاهر – سعيدة
كلية العلوم الاجتماعية والانسانية
قسم العلوم الإنسانية

الشعبة: تاريخ
تخصص: تاريخ وحضارة المغرب الاسلامي

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في التاريخ بعنوان:

الزيانيون وازمات المجتمع

إشراف الاستاذ:
بوداعة نجادي

من إعداد الطالبة:
- حبيبي عبد الرزاق
-

لجنة المناقشة:
- .....رئيسا
- أ.....مشرفاً و مقرراً
- ..... مناقشاً

السنة الجامعية:
1434-1435 هـ/ 2013 -2014 م

مقدمـــة

مقدمة :

ان دراسة تاريخ المغرب الاسلامي يعتبر مسلكا صعبا والتطرق اليه يحتاج من الباحث التركيز قدر الامكان ليحيط بجميع جوانبه السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية فوجدت من المفيد الحديث عن الجانب الاجتماعي في العصر الزياني لأدرس كيف كان المجتمع وماهي مشاكله؟ فتناولت هذا البحث المعنون "الزيانيون وازمات المجتمع" ، وترتكز هذه الدراسة على حياة الدولةالزيانية التي ظهرت على أنقاض الدولة الموحدية.

حظي الجانب السياسي لهذه الدولة بعناية من طر ف الباحثين ، على حساب الجوانب الحضارية الأخرى ، فجل المصادر التاريخية تركز على الجانب السياسي غير أن كتب الفقه التي نتجت عن النوازل المختلفة سوآءا كانت تتعلق بالعبادة أو المعاملة التي برع فقهاء المالكية المغاربة في تدوينها ، خلفت تراثا فقهيا زاخر يحمل بين طياته مختلف الفوائد المتعلقة بأصول الأحكام وطرق التطبيق ،كما كانت حصيلة هذه الفتاوي مئات المؤلفات النوازلية التي تحكي ظروفا إجتماعيةوإقتصادية متناثرة بين المغرب والأندلس.

ومن اسباب اختيارنا للموضوع هو محاولة اكتشاف المجتمع الزياني ودراسة ما واجه هذا المجتمع من الآلام جراء الحصار والحروب والتحرشات الحفصية والمرينية،وتهدف هذه الدراسة الى محاولة دراسة الأوضاع الإجتماعيةللدولة الزيانية ،و إعطاء صورة شاملة عن المجتمع التلمساني :

ويمكن طرح مجموعة من الأسئلة التالية:

ـ مما يتكون المجتمع الزياني؟ وما هي أهم فئاته ؟

ـ ما تأثير الأوضاع السياسيةعلى الحياة الاجتماعية للدولة الزيانية؟ ماهي مظاهر أزمات المجتمع الزياني و انعكاساتها عليه ؟

ونحن سنحاول أن نضيف ونبين من خلال هذه الدراسة مدى أهمية النوازل في الدراسات الاجتماعية ، وإعطاء ملامح المجتمع في العهد الزياني،ولمعالجة هذا البحث بمختلف جوانبه تم تقسيمه إلى مدخل وثلاثة فصول مع مقدمة في البداية وخاتمة في النهاية، حيث تضمن المدخل نشأة الدولة الزيانية، والفصل الاول تناولنا فيه تقسيم المجتمع حسب أنماط المعيشة التي تتلخص في حياة أهل الحاضرة ، الطبقة الخاصة، الطبقة العامة ، وأهل البادية وفئات المجتمع من بربر وعرب وأتراك، كما تطرقنا في الفصل الثاني أزمات ومشاكل المجتمع الزياني وما صادفه من مجاعات و أوبئة وتضمن الفصل الثالث وسائل مكافحة الفساد والرعاية الاجتماعية والصحية.

ـعرض المصادر و المراجع :

أـ المصادر:

تعددت المصادر التي إعتمدنا عليها في الدراسة وتنوعت مشاربها وتباينت طريقة عرضها للحدث التاريخي الخاص بحياة المجتمع بحسب توجهاتها ، والتي نذكرها مرتبة بحسب أهميتها لهذه الدراسة .

1 ـ كتب النوازل والفتاوي :

ـ " المعيار المعرب والجامع عن فتاوي علماء إفريقية والأندلس والمغرب " لأبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي (ت 914 هـ / 1508 م) .

تكمن أهمية هذه الموسوعة الفقهية أن صاحبها جمع فتاوي الفقهاء الذين سبقوه والمعاصرين له في مختلف القضايا ، شملت إهتماماته كل المغرب الإسلامي ، غير أن جل الفتاوى التي ذكرها في كتابه إستمدها من نوازل أبي زكريا يحي ابن عيسى المغيلي

المازوني (ت 883 هـ - 1478 م) ولهذا نجدها مكررة عنده ، إلا أنه أفادنا كثيرا لتحدثه عن نفس الفترة التي تطرق إليها المازوني وكتابه زاخر بالقضايا الإقتصادية والإجتماعية .

2- كتب التاريخ العام :

ومن محاسن هذا الصنف من الكتب أنها تعطي لنا زمنية الحدث ، مما يسمح لنا بالتتابع الكرونولوجي لمختلف الأحداث الإجتماعية ، لكن لا توافينا بمعلومات كافية عن الأحداث الإجتماعيةالإقتصادية إلا في بعض الحالات القليلة .

- " العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر " لعبد الرحمن بن خلدون (ت 808 هـ / 1406 م) تضمن الجزء السابع منه تاريخ الدولة الزيانية ، فتتبع أحداثها السياسية والعسكرية وما تعرضت له من إضطرابات ومضايقات من طرف جيرانها خاصة المرينيين ، وقد تطرق إلى بعض الجوانب الحضارية التي رغم قلتها وندرتها في مصنفه هذا إلا أنها أثرت البحث .

- " بغية الرواد في ذكر الملوك بني عبد الواد " لمؤلفه أبي زكريا يحي بن خلدون (ت780هـ / 1978 ن) ويقع هذا الكتاب في جزئين ، ويعتبر هذا المصدر من أهم المصادر كون أن المؤلف عاش في ظل الدولة الزيانية ، بل أرخ لملوكها وكان من أحد كتابهم المرموقين ، أورد بعض المعلومات التي تخص الجوانب الحضارية رغم أن كتابه هذا ألفه لغرض مدح وتأكيد الولاء للسلطان أبي حمو الثاني ، فقدمه هدية له، ويظهر أن يحيى بن خلدون قد أسرف في مدح ملوك هذه الدولة وفي إبراز مظاهر عظمتها ،في حين أنه غض النظر عن العديد من الوقائع التاريخية الهامة .

3- كتب الحسبة والأحكام :

- " تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر " لمحمد العقباني التلمساني (ت 860 هـ / 1455 م) وهو كتاب يرصد فيه صاحبه أوضاع خطة الحسبة وموقف القضاة من بعض المظاهر الإجتماعية .

ب-المراجع:

"تاريخ الجزائر العام" لعبد الرحمان بن محمد الجيلالي : هو كتاب يعالج الجزائر كوحدة سكانية و جغرافية ، رغم صعوبة ذلك في الفترة التي سبقت العهد العثماني في التاريخ الوسيط فدول المغرب الإسلامي لم تكن لها حدود و حكامها من مختلف القبائل بغض النظر عن الأصل والمنشأ فالوحدة كانت سكانيا و جغرافيا رغم ذلك حاول عبد الرحمان الجيلالي أن يجمع المبعثر و يجعل الجزائر (المغرب الأوسط) و يجعل الجزائر تاريخ موحد عبر العصور .

"تلمسان في العهد الزياني" لعبد العزيز فيلالي : يحتوي هذا الكتاب عى مادة تاريخية غزيرة فيها إضافات جديدة في التاريخ الحضاري و السياسي و العمراني و الاجتماعي لمدينة تلمسان خلال العهد العثماني و تصحيح الكثير في القضايا التاريخية التي وردت في بعض المصادر القديمة و المراجع الحديثة.

وقد اعتمد على مقومات البحث العلمي في صياغة البحث و التحليل و الاستنباط و النقد و المقارنة، ومنهجا يقوم اساسا على التحليل والتعليل واستقراء النصوص وتفسير الاحداث ومناقشتها وفق رؤية علمية نزيهة لان علم التاريخ يرفض اساسا الاحداث دون تحليلها ومناقشتها ومناقشة الخلاف بالحجج الواقعية ولمعالجة مختلف جوانب الموضوع ، والإجابة على الأسئلة تم الاعتماد على المنهج الاستنباطي بأداتيه الوصف والتقرير وهذا لإبراز مختلف الجوانب النظرية المتعلقة بالموضوع ، وكذلك تم الاعتماد على المنهج

الاستقرائي من خلال استخراج المادة التاريخية المتضمنة في المصادر ذات الصلة بالمجتمع الزياني، تحليلها ومقارنتها مع ما ورد من معلومات في المصادر التاريخية التي أتيح لنا الاطلاع عليها .

إن الخوض في مجال الدراسات الاجتماعية من المهام الصعبة وذلك لوجود المادة مبعثرة في المصادر التي أسهبت في ذكر الأحداث التاريخية والسياسية ، لذلك تتبع هذه المادة وجمعها يلزمنا عناء وصبرا كبيرين بالإضافة إلى سعة الوقت ،وكذلك ان الباحث يعاني من توقف اغلب الصراعات الزيانية عند التاريخ السياسي للدولة او التاريخ العلمي وقلة تطرق الدولة للجانب الاجتماعي.

مدخل

مدخل:

عرفت الأوضاع السياسية تطورا في بلاد المغرب الإسلامي من جراء ضعف دولة الموحدين 524ه/1129م فقد أكدت معركة حصن العقاب أمام النصارى في الأندلس 609ه/ 1212م، بقيادة أبي عبد الله محمد الناصر 603-610ه / 1206-1221م أكدت ضعف دولة الموحدين وتصدع بيتهم الذي شيده عبد المؤمن ابن علي ،[1] ضف إلى ذلك ضياع هيبتهم أمام تطلعات القبائل الكبيرة وطموحاتها، ولم تلبث أن ظهرت خلال هذه الظروف الصعبة التي كانت تمر بها الدولة مواقف الجديدة للخليفة الموحدين عبد المؤمن بن يحي الناصر 624-630ه/1215-1221م أذكت نار الأزمة في بيت الموحدين وعجلت بسقوطها وذلك بتجرئه على الإساءة إلى بيت الموحدين، فإذا بذلك الشعور أشياخهم أعيانهم ولم تنتهي هذه المشكلة إلا بوفاته سنة 630ه/ 1221م.

بعد ضعف دولة الموحدين شهد المغرب الإسلامي في القرن 7ه / 13م انقساما سياسيا ناجما عن قيام ثلاثة دويلات مستقلة، ففي إفريقية أعلن الحفصيون وهم فرع من قبيلة هنتاتة الموحدية استقلالهم التام عن الموحدين وتأسيس دولتهم في الجزء الشرقي من الدولة الموحدية وجعلوا عاصمتهم تونس وكان ذلك سنة 625ه /1227م، ثم تمكن بنو عبد الواد أو بنو زيان من تأسيس دولتهم سنة 633ه / 1235م واتخذوا من تلمسان[2] أما بنو مرين فلم يتمكنوا من إقامة دولتهم إلا بعد معارك بينهم وبين جيوش الموحدين وكان ذلك سنة 668ه / 1295م حيث أسسوا دولة كانت حضارتها فاس.[3]

ظهور بني عبد الواد بالمغرب الأوسط:

إن ظهور بني عبد الواد[4] بالمغرب الأوسط يعتبر حدثا سياسيا بارزا، من حيث أنهم تمكنوا من تأسيس دولة استمرت أكثر من ثلاث مئة سنة، وقد أدى بروزهم إلى التغيير الجذري في الأوضاع السياسية بالمنطقة وإنفرادهم بالحكم تلمسان كان بداية العهد الجديد لبلاد المغرب الأوسط.[5]

كان قبيل بني عبد الواد المقيم يوم إذن في مواطنه بأحواز تلمسان من إخلاص القبائل الموالية للدولة الموحدين وأوفاها ذمة. فمنحهم الموحدون وأثابوهم على موقفهم هذا بإقطاعهم بلاد بني وامانو وبني يلومي بتلك النواحي التلمسانية، ثم عقد الخليفة أبو العلاء إدريس ابن المأمون بأبي محمد جابر بن يوسف، شيخ بني عبد الواد غلى تلمسان سنة 627ه / 1230م

---

[1] _ خالد بالعربي : التطور السياسي والحضاري للدولة العبد الوادية في عهد يغمراسن بن زيان 633-681ه/1235-1282م مذكرة دكتوراه غير منشورة جامعة بلعباس 2004 ص40

[2] _ **تلمسان:** مدينة قديمة ويقول ابن خلدون كلمة تلمسان بلغة البربر مركبة من تلم معناه تجمع بين وسن معناه اثنان اي الصحراء والتل فيما ذكره شيخنا أبو عبد الله الابلي وكان حافظا بلسان القوم ويقال تلمسان مركب من تل وسان اي لها شان. حساني مختار، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية ،ج4 دار الحكمة ،2007 ينظر الملحق1، ص97،ص98،

[3] _ خالد بالعربي : المرجع السابق صفحة 43.

[4] _ بطون قبيلة بني عبد الواد: بنو باتكين، بنوي اولو، بني رهطف، بني نصوحة، بني تومرت وبنو القاسم الفرع الأخير الذي كانت إليه الرئاسة خلال عهد الموحدين . ينظر خالد بلعربي المرجع السابق ص 150

[5] _ خالد بالعربي : المرجع السابق ص 44.

وقد كان أمر هذه الولاية من قبل إلى صنهاجة، فاستبد يومئذ أبو محمد بهذه الولاية، ونازع بني عبد المؤمن في الملك عليها، وأورثها بنيه من بعده . واستمر الحكم في أعقابه سنة 633ه/ 1235م، حيث تسلط بنو عبد الواد على هذه الإمارة بالقوة، وقطعوا عنها دعوة الموحدين، وأسسوا بها ملكهم وديارهم. وتعددت الحروب والوقائع بينهم وبين الموحدين، وكان النصر فيها سجالا . وهكذا إلى أن تغلب يغمراسن بن زيان على الخليفة أبي الحسين الملقب بالمعتصم فقتله سنة 646ه/1348م، ودفنه بالعباد وخلص المغرب الأوسط – الجزائر- لبني زيان من بني عبد الواد [1]

نشأة الدولة الزيانية:

أجمع كل من يحي ابن خلدون، وعبد الرحمان بن خلدون، والتنسي على رواية واحدة، حول الكيفية التي وصلت بها قبيلة بني عبد الواد إلى الحكم، وخلاصة روايتهم أن أبا سعيد عثمان شقيق المأمون سلطان الموحدين أن واليا على تلمسان، فاعتقل بعض المشايخ بني عبد الواد فسعى إليه إبراهيم ابن إسماعيل ابن علان الصنهاجي اللمتوني متشفعا فيهم، فرد السيد أبو سعيد شفاعته، فغضب لذلك وثار عليه فأعتقله، ثم أطلق سراح مشايخ بني عبد الواد، ولكن تمادى إلى أبعد من ذلك، إذ خلع طاعة الموحدين، وطمح في إعادة بعث الدولة اللمتونية، واعتقد أن ذلك لن يتم له إلا بالقضاء على العبد الواديين، فأراد أن يحقق مأربه بالتحايل على مشايخ القبيل وقتلهم، فأعد لأولئك المشايخ وليمة دعاهم إليها، بغرض اغتيالهم عند وصولهم، إلا أن خطته اكتشفت، ونتيجة لذلك وقع هو وأصحابه أسرى بين أيدي بني عبد الواد، وكان على رأس قبيلة بني عبد الواد حينئذ جابر[2] ابن يوسف (عم يغمراسن) فدخل تلمسان وأعلن الدعوة للمأمون، وبعث إليهم معلنا طاعته، فعهد إليه المأمون بتسيير أمور تلمسان[3] وما يليها من بلاد زناتة ،[4] وكان ذلك سنة 627ه/ 1229م.وهكذا أصبح بنو عبد الواد سادة على تلمسان وضواحيها.

وحاول جابر بن يوسف توسيع نفوذه، وإخضاع جيرانه، فأطاعه الكثيرون، وأبت ندرومة طاعته ، فخرج إليها فقتل حول أسوارها فخلفه ولده الحسن، ثم تخلى عن الحكم لعمه عثمان بن يوسف فكان هذا الأخير سيئ الحكم فثارت عليه الرعية وأزاحوه عن مهامه ورفضوا مبايعته، ثم أسندوها إلى أبي عزة زقدان بن ثابت بن محمد بنو زيان، غير أن بني مطهر حاربوه بمساندة بني راشد وانتهت الفتنة بينهم بمقتل أبي عزة زقدان. ثم تولى أمر تلمسان أخوه يغمراسن بن زيان بن ثابت بن محمد، وذلك سنة 633هـ /1235م فتمكن من إخضاع بني مطهر وبني رشد، وجمع كلمتهم في ظل الدولة العبدالوادية وسارع يغمراسن بن زيان بعد توليه أمر تلمسان إلى إعلان استقلاله عن دولة الموحدين، واستقل بالحكم من دونهم. [5]

---

[1] _ عبد الرحمن بن محمد الجيلالي: تاريخ الجزائر العام ج 2 دار الأمة الجزائر 2010 ص 48

[2]- محمد مكيوي : الأوضاع السياسية والثقافية للدولة العبد الوادية منذ إقامتها حتى نهاية عهد أبي تاشفين،633 هـ- 1236 م، (737هـ - 1337م) ، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة تلمسان، 2000-2001، ص52

[3] _ مكيوي محمد : المرجع نفسه، ص 53

[4] _ أشهر قبائل الزناتة، بنو عبد الواد، بنو مغراوة، بنو توجين، بنو يفرن، بنو راشد، بنو زردال ،بنو مصاب، اختلفت معيشتهم فمنهم الفلاحون ومنهم من عاشوا في السهول العليا والصحراء عيشة البدو .خالد بالعربي المرجع السابق ص 222. مناطق سكن زناتة، وهران، تلمسان ومعسكر الى تهرت ويمكن تحديد مضاربها من تلمسان غربا الى نهر شلف شرقا ومن الساحل شرشال و وهران شمالا الى تهرت جنوبا، خالد بلعربي المرجع السابق ص 35 .

[5] _ مكيوي محمد : المرجع نفسه، ص 53

عوامل سقوط الدولة الزيانية:

إعتماد ملوك بني زيان المتأخرين عن المرنيين أو بني حفص في إعتلاء العرش الزياني ومثال ذلك ما قام به ألو تشفين الذي أعانه المرنيين في إعتلاء العرش سنة 776 هـ - 1372 م فوصل به الضعف إلى حد ضرب السكة بأسمهم والدعوة لهم في الخطب وفع الإتاوات لهم .

ـ كثرت المؤامرات بداخل البيت الزياني وهذا ما قسم ظهر الدولة، وعن هذا الوضع يقول عبد الرحمن الجيلالي إذا " علمت كيف كانت وضعية الجزائر السياسة في أواخر عهد الدولة الزيانية من التشتت والإضطراب وما أحاط بها يومئذ من الفتن والمشاكل[1] المتنوعة المهددة بسبب تضافر الدولة المجاورة .... وتزاحم المشيخة والقادة على الرئاسة وتتبع مصالحهم الخاصة بدون مبالات أو التفات إلى مصالح الشعب الوطن، فإذا علمت كل ذلك تيقنت وأن الدولة الجزائرية يومئذ أشرفت على الهرم لا محال بل وإنها ولا ريب ذاهبة إلى التدهور والزوال.[2]

[1] - محمد طمار: تلمسان عبر العصور دورها السياسي وحضارة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، ص213

[2] _ عبد الرحمان بن محمد الجيلالي: المرجع السابق، ص 243 ص244

الفصل الأول

الحياة الإجتماعية في الدولة الزيانية

الفصل الأول: الحياة الاجتماعية في الدولة الزيانية

المبحث الأول:المجتمع من خلال نمط المعيشة

أولا:المجتمع الحضري

1_ الطبقة الخاصة:

أ_ الحكام

ب_ عمال السلطات

ج_ الفقهاء الطلبة

د_ الشرفاء والمرابطون (المتصوفة)

2_ الطبقة العامة

أ_ الأسرة

ب_ القابلات

ج - _العبيد

ثانياً:المجتمع البدوي

1_ أصناف البدو

2_ تنظيم المجتمع البدوي

المبحث الثاني: فئات ومكونات المجتمع الزياني

أولاً:الفئات الأصلية في المجتمع (الأغلبية)

1_ البربر

2_ العرب

ثانياً:الفئات المهاجرة في المجتمع (الأقلية)

1_ أهل الذمة

2_ الأغزاز

3_ الأندلسيون

المبحث الأول: المجتمع من خلال نمط المعشة

كان المجتمع الحضري في تلمسان، ن من السكان الأصليين البربر بالإضافة إلى العرب سواء المستقرين في الحواضر أو الارياف، وبعد العدوان الذي شن على الأندلس فقد شهدت سواحل تلمسان نزوج جاليات بشرية كبيرة استوطنت بها واندمجت في المجتمع وتفاعلت معها، بالإضافة إلى طابع اختلاف السكاني تميز المجتمع الحضري بطابع الاستقرار .

أولا: المجتمع الحضري.

يقول إبن خلدون في مقدمته : " الحضر متفاوت الأحوال من جنسه قرب حي أعظم من حي، قبيلة أعظم من قبيلة، ومصدر لوسع من مصر، أكثر عيمرانا من مدينة، فقد تبين أن وجود البدو متقدم عن وجود المدن والأمصار[1].

1 - **الطبقة الخاصة**:

تمكن إبن خلدون من وضع الأسس المادية والإجتماعية والأخلاقية التي تميز الفئات الإجتماعية في المقدمة بقوله : " ثم إن الجاه متوزع في الناس ومرتب فيهم طبقة بعد طبقة ينتهي في العلو إلى الملوك الذي ليس فوقهم يد عالية، وفي الأسفل إلى من لا يصلك ضرا ولا نفعا بين أجناسه وبين ذلك طبقات متعددة[2]،من خلال ما ذكره إبن خلدون فالجاه يعتبر أساس التفاوت الطبقي داخل المجتمع ثم يدقق فكرته يقول : " إن كل طبقة من طباق أهل عمران من المدينة أو إقليم لها قدرة على من دونها من الطباق، وكل واحدة من الطبقة السفلى ما يستفيد منه الجاه على ذلك داخل الناس في جميع أبواب المعاش، ويتسع ويضيق بحسب الطبقة والطور الذي فيه صاحبه فإن كان الجاه متسعا كان الكسب الناشئ عنه كذلك وإن كان ضيقا قليلا فمثله، وفاقد الجاه وإن كان له مال فلا يكون يساره إلا بمقدار عمله أو ماله[3]، وبناءا عليه فالطبقة الخاصة أو العامة : هي جماعة تكونت بين أفرادها ترابطات إقتصادية وعاطفية تجعلهم يتضامنون في تعدياتهم على باقي السكان[4].

أعطى المازوني في بعض المواضع من كتابه " الدرر المكنونة " إشارات ضئيلة حول صورة الطبقة الخاصة، دون أن يبرز العناصر الإجتماعية التي تتشكل منها تلك الطبقة، غير أن المصادر أمدتنا بتفاصيل مهمة حول هذه الطبقة .

تتشكل هذه الطبقة غالبا من الحكام السلاطين والموظفين الرسميين للدولة، فقد فصل يحيى إبن خلدون في ذكر هذه الفئة من الموظفين، حيث تحدث عن السلطان الزيانييغمراسن بن زيان : " إتخذ الوزراء يحيى بن مجن، ثم أخوه عموش ثم إبنه عمر بعد موته .... ثم يعقوب بن جابر الخرساني، وحاجبه الأقرب ومشاوره الأنصح الفقيه عبدون بن محمد الحباك من فقهاء الحضرة، وكتاب إنشائه الفقيه أو بمحمد غالب إبن غالب ثم أبو عبد الله محمد بن جدار .... وكاتب عسكره الفقيه أبو عبد الله محمد بن مروان وولده الفقيه أبو حسن علي والفقيه أبو مهدي عيسى بن عبد العزيز وصاحب أشغاله عبد الرحمن بن محمد بن ملاح " [5].

فقد فصل يحيى إبن خلدون في ذكر بطانه الأمراء الزيانيين، مقارنة بما ذكر أبو زكريا المغيلي الذي لم يفصل في ذكر الطبقة الخاصة، ونلاحظ بأن السلطان إستعمل في بطانته الفقهاء والعلماء .

أ - **الحكام :**

1- أبو يزيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: المقدمة ، دار القلم ، بيروت ، ط 7 ، 1989 ، ص 127 .
2- نفسه ، ص 390 .
3- عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، ص 390 .
4- عبد المجيد مزيان: النظريات الإقتصادية عند بن خلدون ، وأسسها من الفكر الإسلامي والواقع المجتمعي المؤسسة الوطنية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط 2 ، 1988 ، ص 51 .
5- يحي أبو زكريا يحي إبن خلدون: بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد ، تحقيق عبد الحميد الحاجيات المكتبة الوطنية ، الجزائر، 1980 ، ج 1 ، ص 205 ، 204 .

يصف إبن خلدون الحكام في مقدمته في قوله " إن السلطان في نفسه ضعيف يحمل أمرا ثقيلا، فلا بد له من الإستعانة بأبناء جنسه وإذا كان يستعين بهم في ضرورة معاشه وسائر مهنه، فما ظنك .... من إسترعاه الله من خلقه وعباده، فهو محتاج إلى حماية الكافة من عدوهم بالمدافعة عنهم، وإلى كف العدوان بعضهم ببعض في أنفسهم بإمضاء الأحكام الوازعة فيهم وكف العدوان عليهم في أموالهم بإصلاح سابلتهم [1]. من خلال هذا النص الذي أورده إبن خلدون فإن خطة الحكم من أصعب الخطط لما فيها من تكاليف، وحرص على تطبيق الشرع .

أفادنا المازوني في أحد نوازله[2] ببعض الإشارات حول سلاطيين بقوله " فتوى صدرت من الشيخ الفقيه الإمام العلامة أبي موسى عمر بن موسى بن يوسف المجدالي، نزيل تلمسان المحروسة في حكم إتخاذ الركاب من خالص الذهب والفضة حيث سأل عن ذلك السلطان الإمام الشهير الكبير " ، من خلال النازلة تتضح لنا أن هؤلاء السلاطين وصلوا إلى رقى ومرتبة عالية جدا وهذا دليل على الرخاء الذي عاشوا فيه في كثير من مراحل الدولة .

كما عمد هؤلاء السلاطين لتقريب الفقهاء والعلماء وهذا لشغفهم وحبهم للعلم حيث يقول أبو زكريا يحيى المغيلي " سئلت سيدي أبو الفضل العقباني عن جماعة من المرابطين أنعم عليهم السلطان بأرض الحراثة " ،قد قرب هؤلاء العلماء وكثروا عليهم من العطايا والهدايا حتى كسبوا ودهم، غير أن الكثير من الفقهاء كان يتمنع من الإقتراب من السلاطين .

إنحصرت السلطة في البيت الزياني، وورثت يغمراسن على طول مدتها ، إلا في بعض المرات التي خرجت عن سلطتهم فآل الحكم إلى بني مريني أو بني حفص على الرغم من الأبهة التي كانت لسلاطين بني زيان، غير أن دولتهم عرفت في كثير من الأحيان الضعف والهوان، ففي هذا الصدد يقول صاحب الدرر المكنونة " سئل محمد العقباني عن هؤلاء الأعراب المتغلبين عن البلاد لضعف السلطنة " ، فقد شهد عصر[3] المازوني ضعف كبير في جهاز الدولة الزيانية أدى إلى فنائها وإنقضائها، وقد ذكرناها سابقا .

ب ـ **عمال السلطان حاشية السلطان :**

يقول الله تعالى : " .....وأجعل لي وزيرا من أهلي، هارون أخي، أشدد به أزري، وأشركه في أمري " [4] من خلال الآية، فإن اتخاذ أعوان داخل الدولة يكون لزاما على الخليفة، ويقول المازوني في أحد النوازل سئل أيضا في كتاب عامل السلطان ثم أن عمل السلطان أخذ الكتاب في مال وقال قد كتبتك بيد من المال .... " [5] لم يشر المازوني إلى إسم

1- إبن خلدون: المقدمة ، ص 228 .

2 النازلة : قد شاع و إشتهر عند الفقهاء إطلاق النازلة على الواقعة الجديدة التي تتطلب إجتهادا ، قال إبن عبد البر : باب الإجتهاد الراعي على الأصول عند عدم النصوص في حين نزول النزالة ، و قال النتوي "فيه إجتهاد الأئمة و النوازل و ردها إلى الأصول و قال إبن القيم قد أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم يجتهدون في النوازل ، و لها أوصاف هي كونها واقعة ، جديدة تستدعي موقف إجتهادي شرعي و ترك الإجتهاد يضر المسلمين ، السفياني عابد بن محمد : مجلة الأصول و النوازل ، السنة الأولى العدد الأول محرم 1430 هجري يناير 2000 .

3 ـ حليمة صراندي: الحياة الاجتماعية في تلمسان على ضوء كتاب الضرر المكنونة لنوازل مازونة، مذكرة ماستر جامعة شلف، 2010-2011، ص31

4- سورة طه: الأية 20 .

5- حليمة صراندي: المرجع السابق، ص32

الوظيفة الموكلة لهذا العامل، غير أن المصادر التي كتبت تاريخ الدولة الزيانية ذكرت لنا رتب عمال السلطان كما يلي :

- **الوزراء :** يسمى إبن خلدون هذه الخطة، أم الخطط السلطانية والرتب الملوكية لأن إسمها يدل على مطلق الإعانة [1]، لم تكن مهام الوزير موحدة في كل الدول بل كانت تختلف من حاضرة إلى حاضرة .

فنجد أن صلاحيات الوزير كانت تتداخل مع صلاحيات الحاجب على حسب هوى السلاطين الزيانيين ونظرا لأهمية منصب الوزير والحاجب فإن التنافس من أجل الوصول إلى هذه المرتبة بين الطامحين للمنصب كانت تستعمل فيه طرق ملتوية كالوشاية وحبك الدسائس وغيرها، ولذلك ورد في الأثر حول أهمية خطة الوزير والحاجب [2]،ومصدر أهمية هذه الخطة يتأتى من كون الوزير يقدم النصح والمشورة للسلطان ويضطلع بالكثير من أعباء الحكم، لذلك يزداد تردد الناس عليه لتسهيل تنفيذ مطالبهم قضاء مصالحهم كما أن منصب الوزير أو الحاجب كان ذو أهمية بالنسبة للسلطة السياسية القائمة حيث أن القيام به على أحسن وجه يعد سببا تلك السلطة، أما إذا تعسف الحاجب فإنه يجلب السخط والنقمة على الحكم [3].

الكتاب : هذه الوظيفة غير ضرورية في الملك لإستغناء الكثير من الدول عنها كما في الدول العريقة في البداوة التي لم يأخذها تهذيب الحضارة ولاستلحام الصنائع وإنما أكد الحاجة إليها في الدولة الإسلامية شأن اللسان العربي في العبارة عن المقاصد، فصار الكاتب يؤدي كله الحاجة بأبلغ من العبارة اللسانية في الأكثر .[4] من خلال النص يتضح أن للكاتب أهمية كبيرة في المجتمعات المتحضرة، أورد إبن خلدون في كتابه العبر في إشارات متفرقة العديد من أسماء الكتاب الذين إضطلعوا ببعض المهام السلطانية فالأمير الزيانييغمراسن بن زيان أثناء توليه الحكم إستكتب " أبو بكر بن الخطاب ..... وكان مراسلا بليغا، وكاتبا جيدا وشاعرا محسنا فأستكتبه " [5] . وقد حدد لنا إبن خلدون مهام خطة الكتابة بقوله " ومن خطط الكتابة والتوقيع، وهو أن يجلس الكاتب بين يدي السلطان في مجالس حكمه وفصله ويوقع على القصص المرفوعة إليه أحكامها والفصل متلقاه من السلطان بأوجز لفظ وأبلغه"[6].

عن مواصفات الكاتب السلطان يقول إبن خلدون " وأعلم أن صاحب هذه الخطة لا بد أن يخير من أرفع الطبقات الناس وأهل المروءة والحشمة وزيادة العلم وعارضة البلاغة .... فإن الكاتب يحتاج من نفسه ويحتاج من صاحبه الذي يثق به في مهمات أموره أن يكون حليما في موضع الحلم، فهيما في موضع الحكم، مقداما .... محجما.... مؤثرا للعفاف والعدل

1- إبن خلدون: المقدمة ، ص 229 .
2- نفسه ، ص 230 .
3- عبد الكريم شباب ، صورة المجتمع في المغرب الأوسط خلال القرنين 7 و 8 الهجري 13 - 14 م من خلال كتاب العبر لإبن خلدون ، مذكرة ماجستير غير منشورة ، قسم التاريخ وعلم الأثار ، وهران ، 2002 - 2003 ، ص 7 .
4- عبد الرحمان إبن خلدون: المقدمة ، ص 237 .
5- عبد الرحمان إبن خلدون: العبر ، ديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1968 ، ح 7 ، ص 163 .
6- عبد الرحمان إبن خلدون: المقدمة، ص 238 .

والإنصاف كتوما للأسرا، وافيا عند الشدائد ،عالما بما يأتي النوازل، ويضع الأمور مواضعها" [1].

من خلال ما ورد فإن الكتاب يعدون من بين النخبة المثقفة، يجب أن يكونوا عارفين بالأدب واللغة.

صاحب الشرطة :

سمي صاحب الشرطة لهذا العهد بإفريقية الحاكم، وفي دولة الأندلس صاحب المدينة في بعض الأحيان [2]" وتعد هذه الوظيفة من المناصب السلطانية الهامة في الدولة والمجتمع وكان متولها من حاشية السلطان .

يبدو أن صاحب الشرطة كان يضطلع بمسؤولية على جانب كبير من الأهمية داخل المجتمع فهو يعمل على تقويم الإعوجاج الأخلاقي والإجتماعي، ويحفظ الأمن الحاصل في المدن، على وجه الخصوص [3].

الجند :

تحدث المازوني في بعض نوازل عن طبقة الجند داخل المجتمع قائلا " سئل سيدي حمو الشريف عن أرض المخزن يقطعها السلطان لبعض جنوده " [4] هذه النازلة توضح لنا أن الجند كانوا يتمتعون بمرتبة ممتازة، كما تشير النازلة إلى إستمالة السلطان الزياني هؤلاء بالهبات والإقطاعات حتى يضمن ولاءهم وهنالك نازلة أخرى تشير إلى عطايا السلطان كذلك بقوله " الأرض التي لا مالك لها وأعطاه السلطان جنديا فإن أعطاها على القيام بأهل الكفر وحفظ بيضة المسلمين وقتال أهل الفساد والبغي جزاء ذلك [5]"فقد كان السلطان يمد هؤلاء الجنود للحفاظ على أمن البلاد، ووصفهم حسن الوزن قائلا " أما جنود الملك فكلهم أناس ممتازون أجور ملائمة للغاية إلى حد أن أقلهم رتبة ينال شهريا ثلاثة مثاقيل بسكتهم تعادل ثلاثة دوكات ونصف دوكة إيطالية وهذا الأخيرة للرجل والفرس، كان كل جندي إفريقي مفروض أن يكون فارسا محاربا، وإضافة إلى الهبات والإقطاعات، فإن أجورهم كانت مرتفعة كان هؤلاء الجنود يعيشون في نعيم [6].

أشياخ العرب وأمراءها :

قرب ملوك بني زيان العرب إليهم وأعطوهم مناصب، لقد أفادنا المازوني ببعض النوازل ذكر فيها المشايخ قائلا : " سئل سيدي إبن مرزوق عن رجل صرف عليه رجل من أشياخ العرب." ويقول في نازلة أخرى " سئل شيخنا وسيدنا أبو الفضل العقياني عن رجل مات وعليه دين وترك أرض من بلاد السلطان التي أخذها العرب[7] كما علمتم أحد العرب بيده ظهير من قبل سلطان بتلك البلاد "، ويقول ذلك " شيخ قبيلة تاب وأورد أن لا يحكم في ناحيته غير أحد الفقهاء ".

1- نفسه ، ص 238 ، ص 239 .
2- عبد الرحمان إبن خلدون: المقدمة ، ص 241 .
3- عبد الكريم شباب: المرجع السابق ، ص 14 .
4- حليمة صراندي: المرجع السابق ، ص34 .
5- نفسه ، ص 35 .
6- حسن الوزان: وصف افريقيا ، ترجمة محمد جحي محمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، المطبعة الثانية 1983، ج2 ، ص 21 .
7- حليمة صراندي: المرجع السابق، ص35

من خلال النوازل المذكورة نستنتج أن شيوخ العرب وأمراءها كان لهم نفوذ على القبائل والقرى التابعة لهم .[1]

ذكر مارمولكربخال أن حكم العرب في بعض مناطق من الدولة الزيانية، كان يشبه الحكم المركزي يقول : " أعراب الصحاري كثيرون ولا يكترثون إلا قليلا جدا بالملوك تلمسان . "[2] وهذا راجع إلى قوة العرب وضعف السلطة الزيانية كما كان لهؤلاء العرب ترخيص من قبل السلاطين للسيطرة على بعض المناطق .

القضاة :

أمدنا المازوني بمعلومات قيمة حول القضاة، فإن هؤلاء يتمتعون بإحترام من طرف الرعية والتقدير من قبل السلاطين، فهؤلاء يستمعون لشكوى المتخاصمين في مجلس القضاء، كما تناول المازني حدود وظيفة القاضي من خلال النازلة فقال " سئل بعض فقهاء بلادنا هل يجب على القاضي تفقد أحوال الناس في معاشهم وتصرف الباعة[3] في أسواقهم، والنظر في المكاييل والموازين التي يبيعون بها ويؤدب من تظهر خيانته أو نقص في بيعه والغش فيما يبيع الناس ".

فأجاب عن النازلة بما يلي :

الواجب على القاضي إن لم يكن محتسبا، مستبدا لذلك أن ينظر في معايش الناس خصوصا الباعة في الأسواق فيتقدمهم ويستكشف عن أمورهم، ومقاديرها كذلك أرطال الوزن والدرع الذي نصبه الأمير للبيع في أسواقهم ومن غير عليه عاقبة[4] وزجزه لئلا يعود وإن لم ينته طرده من السوق، والناس لا يتعاملون في الكيل إلا بالصاع الذي نصبه لهم السلطان في بيع الدقيق أو الزعفران أو الثياب التي نسجها ولم يحكم نسجها .

النازلة التي أفادنا بها المازوني تبين لنا صلاحيات القاضي لها تكون مقتصرة على الأحكام أو تشمل مراقبة أحوال الناس خصوصا في الأسواق، وهذا العمل يعد من إختصاص المحتسب الذي يعين من قبل القاضي، وبهذا نستنتج أن القاضي كانت مهمته تتمثل في مراقبة أحوال الناس وإصدار الأحكام، ومن الوظائف الأخرى الموكلة للقضاة، ويقول كذلك ".... وقد كنت صدقت بها على إبني وحزتها له وأثبتت ذلك بموجب عقد القاضي " نستخلص من هذه النازلة أن القاضي هو الذي كان يوثق العقود ويشهد عليها .

أما في النازلة أخرى يذكر " سئل الفقيه سيدي علي بن عثمان عن مسألة وهي أن قاضي باع عن ورثة رشداء ومحاجير دار خلفها مورثهم "فإن القاضي يعتبر والوصي على المحاجير إذا لم يكن هناك ولي، ولا يفعل ذلك إلا بعد إستفتاء ومشاورة، والقاضي في ذلك الوقت كان يحكم بموجب القرآن والسنة، ونجد أن بعض القضاة كانوا لا يحكمون إلا بمحضر فقهاء، أشار المازوني لذلك بما نصه "سئل شيخنا أبو الفضل العقباني عن قاضي

---

[1] - نفسه، ص36

2- مارموركربخال: إفريقيا ، ترجمة محمد حاجي وأخرون ، مكتبة المعارف الجديدة ، الرباط ، د ، ط ، 1984 ، ج 2 ص 292 .

[3] - حليمة صراندي: المرجع نفسه، ص36

4- حليمة صراندي: المرجع السابق، ص36

نزلت به مسألة في عمالته وأراد أن لا يحكم فيها إلا بمحضر الفقهاء لكن أحد الخصمين لا يظن بأحد خيرا فخاف القاضي من سوء ظنه به وكلفه أن يحضر الفقهاء .[1]

عند إطلاعنا على هذه النازلة يتبين لنا وجود قضاة عدول بالدولة الزيانية يحرصون على أقامة الحدود ودليل ذلك النازلة سابقة الذكر، غير أننا نجد فقهاء غير عدول كالنازلة التي أوردها المازوني قائلا : " إذ حكم القاضي بالشاذ فإن ذلك منه لأجل هو نفسه لرشوة يأخذها ونحو ذلك وليس هو من أهل النظر والتصويب نقض حكمه " ، ويقول كذلك : " سئل أيضا عن يتيمة خاف عليها قومها عليها من الفساد أن يهرب بها بعض المفسدين طعامها أوكرها لكونهم ببلاد السائبة وما هو يعني السايبة لضعف أحكام القضاة . " من خلال هذه النازلة يمكن القول بأن على الرغم من وجود الفقهاء عدول ومع ذلك فقد وجد تلمسان قضاة من ضعاف النفوس يسعون لطلب المال والتكسب بأي وسيلة دون إعتبار لما تفرضه الشريعة والمبادئ الإسلامية فنجد هناك قضاة يحكمون بالشاذ مقابل المال .

كما أشرنا من قبل أن القضاة العدول كانوا يسعون للحكم بمقتضى الشرع وإن لم يكن هناك نص صريح فإن القاضي هو الذي يجتهد في تطبيق العقوبة، حيث يقول المازوني في أحد النوازل : " فأجاب القائل المذكور يلزمه الأدب والأدب في هذا موكل إلى إجتهاد القاضي لا تحديد فيه فمن الناس من يكون أدبه السجن، وأخر صفع الرقبة، وأخر الضرب بالسوط، يفعل القاضي من ذلك ما يكون ردعا وزجرا لأحوال الشخص ثم يحكم بما يجده مناسب لردعه " .[2]

ففي هذه الحالة القاضي هو الذي يستقرا أحوال الشخص ثم يحدد العقوبة المناسبة ونظرا لكثرة القضايا التي كانت ترد على القاضي، كان لازما عليه تعيين مساعدين، يقول المازوني " سئل أيضا عن يتيم ليس له وصي ولا مقدم من قبل القاضي في كفالة إمرأة،" كما ذكر المازوني أنواع من القضاة كالقاضي الجماعة ويعتبر أعلى رتبة هو الذي توكل له مهمة تعيين قضاة النواحي كقاضي البادية وقاضي القرى ومن المهام الموكلة للقاضي كذلك، يقول المازوني : " سئل شيخنا وسيدنا سيدي قاسمالعقباني عن قاضي قرية قدم رجلاً من طلبتها للإمامة: "يتضح من خلال هذه النازلة أن القضاة كانوا هم من يعينون أئمة المساجد.

1- نفسه، ص 37 .
2- حليمة صراندي: المرجع السابق، ص38

كان القاضي يعين مساعدين من أجل معاسينة أحوال الناس عن كثب كموضع مقدم الذي يعتبر ولي اليتيم ينظر في شؤونه ويقول كذلك: "أنت في دعوتي للقاضي فيأبى المشي معه لمجلس القاضي ويعد ذلك منه استخفاف بالقاضي ... حتى يأتيه عون القاضي أو تابعه فيلزمه الذهاب معه، ومن المهام الموكلة لعون القاضي إحضار المتهمين إلى مجلس القضاة[1]

ج- الفقهاء والطلبة:

تعرض أبو زكريا يحيى المازوني لطبقة الفقهاء ولطلبة العلم، فقد شكل هؤلاء النخبة في المجتمع التلمساني، فيقول صاحب الاستبصار بأن: "تلمسان دار العلماء والمحدثين"[2] فقد تصدر هؤلاء الفتيا المجتمع في ظل تدهور الدولة وانتشار الفساد والبدع والظلال فكان هؤلاء الفقهاء يقومون بدور في إصلاح المجتمع.

اعتمد المازوني في كتابه على جملة من الفقهاء نقل فتاواهم في كتابه، ففي إحدى النوازل يقول" سئل بعض فقهاء بلادنا عن أطفال أهل الحرب ونسائهم إذا أسروا"[3] تدل هذه النازلة على كثرة الفقهاء الذين عاشوا في تلمسان التي تعتبر مركز. ونظرا لمكانة هؤلاء الفقهاء في المجتمع فكانوا في بعض الأحيان يحكمون دون الرجوع إلى قاضي المنطقة ففي نازلة يقول:" سألت سيدي عمر القلشاني عن من نازل أباه وسبه أقبح السب وانفصلا فلما صار بعد يومين أو ثلاث قام فقيه البلد ممن له وجاهة عند العرب آخذين البلد... وسيق له مكتوفا وأمر بضربه فضربوه بالحبل وسجنوه في سجنهم نصف يوم دون مشورة قاضي البلد." قد أقر القاضي صنيعه وهذا دليل على مكانة الفقهاء وتقديمهم في المجتمع.

كما عمد ملوك تلمسان إلى تقريب الفقهاء ومشاورتهم واستفتائهم في أمور الدين والدنيا حتى إن الكثير من ملوك بني زيان كانوا هم أنفسهم فقهاء، يقول المازوني:" أن السلطان أبو حمو الزياني سأل من حديث حبب إلي من دنياكم.." وأجابه عن هذا السؤال الفقيه أبو عبد الله الشريف وهذا دليل واضح على مكانة الفقهاء في تلمسان، وعن تقدير ملوك بني زيان للفقهاء يقول ابن مريم:" ملك أبو حمو [بن]يوسف بن عبد الرحمن تلمسان من يد بني مرين، فانطلق إلى تلمسان وتلقاه أبو حمو براحتيه وأصهر له أبو حمو في ابنته، فزوجها إياه وبنى له مدرسة"[4].

حظي هؤلاء الفقهاء بتقدير كبير، فإن الكثير من السلاطين كانوا هم الذين يتوجهون إليهم لطلب الدعاء.

---

[1] - حليمة صراندي: المرجع السابق، ص39

[2] - مؤلف مجهول ، وصف افريقيا من كتاب الاستبصار في عجائب الأنصار.

1- حليمة صراندي: المرجع السابق، ص39

4- أبو عبد الله محمد بن محمد ابن مريم: البستان في ذكر أولياء تلمسان، تحقيق عبد القادر بوباية، مكتبة الرشاد للطباعة، الجزائر، ط1، 2010-2011، ص 284

أما الطلبة فكانوا فقراء يعيشون في المدارس، فكانت تدفع لهم الصدقات والزكاة. ويقول حسن الوزان:" إن الطلبة أفقر الناس يعيشون عيشة بئسة في مدارسهم"[1].

د - **الشرفاء والمرابطين (المتصوفة) :** تمتعت طبقة الشرفاء بقدر كبير من الاحترام والتقدير، وهذا النسب الشريف الذي يرجعونه إلى سلالة النبي صلى الله عليه وسلم، كما يرجع البعض نسب الدولة الزيانية إلى الشرفاء، حيث يقول صاحب الدرر السنية إن " أصل شرفاء الزيانيين يعود ليونس لما وصل مأمنه بوصول لموضع أسلافه موضع أبيه وجده أبي زيان بن زين العابد بن مكث فيه وتزوج أربع عشرة امرأة ولم يلد سوى من ياقوتة بنت عبد الله بن جعفر فولدت له عشرة أولاد وثلاثة بنات فبقي منهم عبد الرحمان ومات الباقون فإنتقل عبد الرحمان إلى تاقدمت ونزل عين الطوع وحصل له بها التعظيم والجاه الجسيم ما هو معروف لهم في أسلافهم السابقين فتزوج حسنة بنت عامر القريشي فولدت له عبد القوي وجعفر وأحمد ومن هؤلاء الثلاثة تفرعت فروع شرفاء بني زيان [2].

فبالنسبة إلى أصل بني زيان هناك اختلاف، فهناك من يقول أنهم برير من الزناتة وهناك من يرجع أصل إلى العرب والأشراف، وذكر المازوني في أحد النوازل أن فقهاء تلمسان أفتوا بوجوب احترام الشرفاء [3]،كما أثبتوا الشرف من قبل الأم، فكل من كانت أمه شريفة فهو شريف، والملاحظ أن النسب للإشراف كان " يثبت بالسماع وشهادته به ودعاء الناس لديه، ويتقوى كذلك بثبوته عند القضاة لا سيما مع تقادم رسوم المنسبين " [4].

حضيت فئة أخرى بالتقدير داخل المجتمع التلمساني تتمثل في المرابطين، حيث يفيدنا المازوني أن السلاطين كانوا يغدقون عليهم بالعطايا والإقطاعات ، ففي أحد النوازل يقول : "سئل سيدي أو الفضل العقباني عن جماعة من المرابطين أنعم عليهم السلطان بأزواج للحراثة عليها عيون ماء " ويقول في نازلة أخرى " سئل شيخنا وسيدنا أبو الفضل العقباني أن رجل غاصب إن لم توريني مطمورة فلان لأفعلن بك كذا وكذا، فصالحه على دراهم بمحضر المرابطين ووافقوه على الصلح ".[5]يتضح من خلال النازلة أن هؤلاء المرابطين حظوا بمكانة مرموقة بين الناس.

ويقصد بهؤلاء المرابطين المتصوفة [6] فقد وصفهم جورج مارسيه بما نصه " منهم من كانوا متعلقين تعلقا عميقا بتعلم الدين .... ويقضي الآخرون حياتهم في المسجد ولا يؤمون آخرون بالمسجد أبدا حتى لتأدية الصلوات الشعائرية، وينغلقون في بيوتهم حتى لا يتركوا مشهد الحياة الدنيا تلهيهم عن تأملاتهم ويحرمون أنفسهم من جميع مرافق الحياة، منزوين في غرفة صغيرة مثل المنسك .. وكانت العلامة المميزة للصوفي فقر لباسه، ويكتفي بإسقاط الأقوات " . [7] فالمتصوف يميلون إلى حياة الزهد والإنزواء عن العالم الخارجي وهذا لتجنب الشهوات .

1-حسن الوزان: مصدر سابق ج 2 ص 21

2- علي السنوسي ، الدرر السنية في إخبار السلالة الإدريسية ، مطبعة الشباب مصر ، 1399 هـ - ص 106 .

3- حليمة صراندي: المرجع السابق، ص41

4- أبو كمال مصطفى السيد: محاضرة في تاريخ المغرب الإسلامي وحضارته ، مركز الإسكندرية للكتاب ، مصر د ت ، ص 200 .

5- حليمة صراندي: المرجع نفسه، ص41

6- التصوف " من العلوم الشرعية الطارئة على الدنيا ، ولقد كان عند السلف الأمة ، هو التعبد ، والتهجد إلى الله تعالى والإعراض عن الدنيا ، ينظر إبن خلدون ، مقدمة ، ص 462 .

7- جورج مارسيه: تلمسان ، ترجمة سعيد دحماني ، دار التل ، الجزائر ، 2004 ، ص 125 .

كما أشار المازوني إلى بعض العادات التي كان يقوم بها المتصوفة كالاجتماع والرقص إذا دعت له الضرورة، فأجاب بعض الفقهاء بما نصه " بما ذكرت من أحوال بعض الناس من الرقص والتصنيف على ذلك بدعة وضلال ".تفيد هذه النازلة إلى انتشار ظاهرة الطرقية في تلمسان، وابتعاد بعض المتصوفة عن النهج التصوفي السني، فهؤلاء ينعزلون في البوادي والجبال ويقيمون داخل رباطات أو زوايا، وعن هذا النوع من التصوف يضيف قائلا، سئل المارزي عن قوم يجتمعون بالصلاة بعد العشاء الأخيرة ومعهم قناديل فوق سور يذكرون أنهم يريدون العسكر ويقولون باجتماع الأصوات سبحان الله العظيم بالتطريب والتحنين، وهم على تلك الحال من الاجتماع والتطريب وقد نهو عن فعل ذلك في الطريق والمزابل، ونهو عن التطريب والاجتماع، وأمروا أن يكونوا على سور ويتركوا التطريب وأن سنة الحرص في الرباط التكبير والتهليل،[1] فهل ينهوا عن هذا وهو بدعة ولا يذكر الله إلا في المواضيع الشريفة من الاجتماع والتطريب، وهذا منهى عنه من قبل العلماء " ، وعليه فإن هؤلاء المرابطين كانوا يخرجون إلى الحصون بحثا عن العدو رغبة من حماية البلاد ولكن العلماء أنكروا عليهم التطريب والغناء .[2]

2 - **الطبقة العامة :**

كانت الطبقة العامة تتميز بالوضوح والبساطة داخل المجتمع التلمساني، ورغم بساطتها فهي عصب الدولة ورأس مالها، أورد المازوني إشارات عديدة حول هذه الطبقة في كتابه فإن جل النوازل والفتاوي التي ذكرها تعبر عن مشاغل واهتمامات هذه الطبقة، كما تورد المصادر معلومات حول هذه الطبقة، حيث يقول ابن خلدون " وما يزعم بعض العوام من ساكنيها أنها أزلية البناء " [3] يظهر أن مفهوم العامة هو عكس الطبقة الخاصة المذكورة سابقا وعليه فإن العوام من الناس هم في الغالب تجار صغار وأهل حرف وزراعة وفقراء المدن [4]. وعلى الرغم من الضعف الذي وصف به هؤلاء إلا أنهم قاموا بدور إيجابي كغيرهم من فئات المجتمع، كما أنها تشبعت بالقيم الإسلامية وهذا الذي دفعها إلى الانتفاض ضد الجور والظلمة وتاريخ المغرب الأوسط حافل بهذه الانتفاضات، فلهم بصمة في الحياة السياسية بشكل فعال غير مسار الأحداث في كثير من المرات .

من العناصر المكونة لهذه الطبقة الأسرة التي تعد لبنة المجتمع ومحرك رئيسي لقوته، بالإضافة إلى فئات أخرى سنوردها فيما يلي :

أ - **الأسرة :**

نستخلص الحياة الأسرية داخل المجتمع التلمساني، من خلال النوازل التي ذكرها المازوني في الدرر المكنونة.

حيث أعتبر الرحل هو المسؤول عن العائلة داخل الأسرة، فنجد الأب مطالب بالنفقة على أسرته، كما يقوم بدور الخطبة لولده ودفع عوضه المهر في العديد من الحالات، إلى جانب مسؤوليته في تزويج بناته وتجهيز الفتاة بما تحتاجه لذهاب إلى البيت الزوجية،ما إذا

1- حليمة صراندي: المرجع السابق، ص42

2- نفسه ، ص 43 .

3- إبن خلدون: العبر ، ج 7 ، ص 156 .

4- عبد الكريم الشباب: مرجع سابق،ص 15 .

توفي الأب أو غاب عن الأسرة وكان الأولاد صغار فإن العم.[1] يكون ولي على الأسرة، كما ذكر المازوني في كتابه أن الأب عندما يكون مريض مرض الموت يعين وصي على بناته لتزويجهم، ونظرا للأوضاع السياسية المضطربة في الدولة الزيانية، وانعدام الأمن وضعف الأحكام، نجد أن أهل القرية أو العشيرة هم من يتولون موضوع تزويج اليتامى، ومن العوائد المنتشرة في تلمسان أنهم لا يزوجون اليتيمة التي لا يخاف عليها الفساد . إلا بعد بلوغها وموافقتها كما تشير بعض النوازل إلى تعدد الزوجات وميل الزوج إلى إحداهن دون أخرى [2] وهذا ما كان يخلق الخلافات في البيت الزوجية، ونستدل من بعض النوازل حرمان المرأة من الميراث في بعض المناطق، وهذا لخوف الأهل من خروج المال خارج الأسرة، إلا أننا نجد من نوازل أخرى أن المرأة في مناطق أخرى من تلمسان كانت تورث منها مثل الرجل حسب ما جاءت به الشريعة الإسلامية [3]. وما يميز المجتمع التلمساني كثرة الهبات والصدقات والوصايا داخل الأسرة، فالكثير من النوازل والفتاوى تفيد بأن الرجال والنساء كانوا يحرصون على التصدق على أولادهم الصغار، كما كانوا في بعض أحيان يوصون بجزء من أملاكهم لأبنائهم، ومن النوازل التي ذكرها المازوني " رجل جعل لإبن أخيه ثلث من ماله " وفي نازلة أخرى " يذكر أن امرأة لها دار وثلاث بيوت وعندها ثلاث بنات وذكرين ثم أنها " أعطت لبنت من بناتها بين ثم أعطت للثانية بيتا وأخرى كذلك ثم أعطت لأحد الولدين البيت الثالث ، وفي نازلة أخرى " يذكر أن رجل تصدق على أولاده الصغار بدار وبستان "،[4] يتبين من خلال هذه النوازل تلاحم الأسر الزيانية. فالأب والأم كانوا يعطون أولادهم الصدقات حتى يضمن لهم عيشة كريمة في ظل أوضاع مضطربة، ونلاحظ أن هذه الصدقات والهبات تزيد من شدة الترابط داخل الأسرة.

من خلال تصحفنا لكتاب الدرر المكنونة في نوازل مازونة[5] وجدنا العديد من المشاكل الأسرية في المجتمع التلمساني ونذكر من بينها :

ـ إساءة الزوج عشرة الزوجة وقهرها والتسلط عليها ، وهذا راجع إلى عوائد المجتمع التي كانت تقدم الرجل عن المرأة، كما يذكر في نازلة أخرى تكليف الزوجة مالا تطيق من خدمة الضيوف والبيت.

1- حليمة صراندي: المرجع السابق، ص44

2- حليمة صراندي: المرجع السابق، ص44

3- ـ نفسه ، ص 44 ، ينظر : أبو العباس أحمد الونشريسي ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل أفريقية والأندلس ، الرباط ، ج 3 ، ص 133 ، أبو كمال السيد ، جوانب من الحياة الإجتماعية الدينية والعلمية في المغرب الإسلامي ، مركز الإسكندرية للكتاب ، مصر ، 1996 ، ص 173 .

4- حليمة صراندي: المرجع السابق، ص45

5: **مازونة :**مدينة صغيرة على بعد 60 كلم غرب الشلف اشتهرت في العصور السابقة بنشاط ثقافي كبير وكانت مقر بآيات الولاية الغربية في فترة من فترات العهد العثماني. محمد بن عبد الله التنسي ،تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدروالعقيان في بيان شرف بني زيان،حققه محمود عياد ،الجزائر عاصمة الثقافة العربية2007، ص286

ـ كما نجد في بعض النوازل إشارة إلى إعتداء الزوج على زوجته بالضرب وعند إشتداد القهر على الزوجة ترفع أمرها إلى القاضي أو بعض العدول، ويدل على هذا قوله " سئل أيضا رجل يشارز زوجته المرة بعد المرة ويؤذيها يسئ عشرتها[1] وتباغضه فتمشى إلى أوليائها غير دونها، بعد أن ينهى عن مشاورتها ويتوب من ذلك بزعمه عن إساءتها، فإذا أقامت عنده يوما أو يومين أو ثلاث، رجع إلى إيذايتها بالضرب وسب هكذا أبقيا إلى أن فرت منه يوما "، تبين من هذه النازلة وضعية المرأة داخل الأسرة في بعض الأسرة التلمسانية فكانت تفتقد الإحترام والتقدير وكثرة الأذية كانت تؤدي بالنساء إلى الفرار من بيوتهن وهذا ما أدى إلى إنتشار الفساد في المجتمع .

ـ الكثير من أحيان ينشب خلاف بين الزوجين بسب عدم العدل بين الزوجات، فهناك نازلة تشير إلى أن رجل كانت له زوجتان فمال إلى أحدهما دون أخرى أدى ذلك بطلب المهملة الطلاق وهو فقير الحال ،وفي بعض المرات يغيب الزوج عن أسرته لعدة أعوام،[2] وتنقطع أخباره فتقوم المرأة الزواج من أخر، فيعود الزوج أول ويطالب بزوجته ، فهنا تحدث مشكلة تؤدي بهم إلى الترافع لدى القاضي .

ـ ومما كان يثير غضب أزواج هو تكرار الخروج المرأة لزيارة أهلها ، ويعتبر هذا سبب من أسباب حدوث مشاكل داخل الأسرة وأحيانا يؤدي بهم لفك الرابطة الزوجية .

كنتيجة للمشاكل السابقة الذكر فقد إنتشرت ظاهرة الطلاق داخل المجتمع، ووصلت إلى حد إفتداء المرأة بالمال من أجل تطليقها ،وفي بعض الحالات تتدخل الأسرة في الطلاق، فقد أشار المازوني في إحدى النوازل أن أب أكره إبنه على الطلاق .[3]

والملاحظ أن هناك مشاكل بين الإخوة، فقد أخبرنا المازوني بنازلة مفادها أن أخوين يسكنان بنفس البيت فتنازعت زوجتهما، فقالت أخرى أخرجوا من داري فغضب الرجل وأشار إليها بمقص كان بيده فارتقى من يده وأصابها في خدها فماتت ".

ب ـ **القابلات :**

تمتعت القابلة بالإحترام والتبجيل في الوسط النسوي، فلم تكن هناك قرية أو مدينة تخلو من قابلة، وكان القاضي يلجأ إليهن لمعرفة حمل المرأة، حيث يقول المازوني" فأمر القاضي فجسسن بطنها ".

كما أن القابلة كانت تعتبر عون من أعوان القاضي داخل العنصر النسوي، وكان يلجأ إليهن الأزواج عند حدوث المشاكل الأسرية، فكن يؤدين عملهن لقاء أجر، فقد ذكر المازوني ذلك في أحد النوازل بما نصه " أن حامل تقول رقد جنيني فيكون الولد وضعه كان لمثل ما

1- حليمة صراندي: المرجع السابق، ص45

2- نفسه ، ص 46.

3- حليمة صراندي: المرجع السابق، ص46 ، يقول الونشريسي أن القضاة كانوا يشددون على أن لاتتراوح المرأة في أخر إلا بعد التيقن من وفاة زوجها الأول وأن يشهد بذلك الشهود العدول ، أو يحدد القاضي لها أجلا فإن لم يعد زوجها كل تلك المدة يعطي لها الحق في أن تتزوج بعد إنقضاء الأجل المحددة ، ينظر أبو كامل السيد ، جوانب من الحياة ،

تضع النساء من حين عقد الثاني إلى وضعها فإدعى أن الحمل لأخيه مستشهدا بقول بعض النساء أنهن قلبنها في الستين التي تربصت بها بعد وفاة زوجها " [1].

ج - **العبيد:**

حظي الرقيق بمكانة داخل المجتمع الإسلامي، فالإسلام حدد وضعية هذه الفئة في المجتمع، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه : قال الرسول صلى الله عليه وسلم " ليقولن أحدكم عبدي وأمتي، كلكم عبيد، وكل نسائكم إماء الله، ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي".[2]

توقف المازوني عند هذه الفئة في العديد من المحطات في كتابه، حيث ذكر " أن أمةبين رجل وأخيه في كفالته ومن جملة عياله وظهر من الأمة فساد فباعها " [3].

هذه النازلة تشير إلى وجود سوق النخاسة في تلمسان الذي يباع فيه العبيد والإماء رغم أن هذه الفئة كانت في أخر هرم المجتمع إلا أنها تأصلت داخله وكان لها صدى كبير، يقول إبن خلدون عند حديثه عن رسل السلطان المريني أبو الحسن " ولج وأغلظ للرسل القول وأفحشوا بمحله بعض السفهاء من العبيد " [4].

أما عن جذور هذه الفئة في تلمسان خاصة، والمغرب عامة يقول إبن سعيد المغربي عن بلاد السودان " مدينة لامي تحت طاعة كفار اللملم .... يعرف جنسهم بالرقيق في بلاد المغرب الإسلامي " [5]كما يشير إلى طرق أخرى يجلب منها الرقيق عند

حديثه عن ورقلة " وإركلان .... بلاد نخل وعبيد " ومنها تأخذ العبيد إلى تلمسان وإفريقيا[6]، كما جلب العبيد إلى تلمسان من البلاد الأوربية فقد شهد العصر الأول من الدولة عدد كبير منهم، وإستعمل أكثرهم من الصناعة كما حدث في عهد السلطان أبو حمو موسى الثاني [7]،ونتيجة لإنتشار هذه الفئة بدرجة كبيرة داخل المجتمع ذكر إبن حوقل أنهم كانوا يسوقون إلى المشرق منها " الخدم المجلوبين من بلاد السودان والخدم الجلوبين من أرض الصقالبة [8] على الأندلس " [9]،وقد أمدنا المازوني بإشارات على وجود الصقالبة على أرض تلمسان

1- نفسه: ص 47 .
2- عبد الكريم شباب: مرجع سابق ، ص 17 .
3- نفسه ، ص 397 .
4- عبد الرحمان إبن خلدون : العبر ، ج 7 ، ص 199 .
5- أبو الحسن علي بن موسى إبن سعيد المغربي: كتاب الجغرافيا ، تحقيق إسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، ط2 ، ص 92 .
6- إبن سعيد المغربي: المصدر السابق ، ص 126 .
7- مختار حساني: الأحوال الإجتماعية ، دار الحضارة ، الجزائر ، ط 1 ، 2007 ، ص 83 .
8- الصقالبة ، جيل أحمر اللون ، صهب الشعر يتواجدون ببلاد الخزر في أعالي جبال الروم ، ينظر ياقوت الحموي معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، ط 2 ، 1995 ، ص 416 .
9- أبو القاسم بن حوقل النصيبي : صورة الأرض ، الفاروق الحديثة ، القاهرة ، د . ت ، ص 95 .

بقوله: " من إستحقت من يده مملوكة بحرية بعد أن قبض من بائعة ضمانها ومات . [1] أما الصنف الأخر من العبيد فهم الأسرى الذي زاد عددهم بعد شروط الأندلس، وهذا كنتيجة لحركة الجهاد التي قام بها سكان المدن الساحلية كوهران والمرسى الكبير وتلمسان، حيث نصت المعاهدات التي أبرمت بين الدولة الزيانية والإسبان على إطلاق سراح هؤلاء . [2]

تواجد الرقيق البيض بشكل لافت في المغرب الإسلامي، وقد خدموا كعبيد في قصور السلاطين، كما كانت الجواري منهم تستغل للمتعة والموهوبة منهن في الرقص والغناء [3]، ويمدنا الونشريسي أن إحدى الجواري كانت تتمتع بموهبة الغناء كان سيدها يستغلها من خلال غنائها في الأعراس والمناسبات السعيدة مقابل أجر معين [4]، ويذكر أن من عادة النخاسين إعداد الرقيق وتهيئتهم لإزالة روائح الأنف بالدهن وغيره والسحيق الصيني أو الفحم أو الملح المدقوق غيره وكانوا يزيلون الشعف في أصول الأظافر بغسلها بالعسل والخل أو دهن الورد أو اللوز المر، ومن وصايا النخاسين للجوازي أن يتبرجن للمشتري تارة ويختفين منه تارة أخرى فإن هذا مالك للقلوب، وأن يدارين المشايخ ونافري الطباع ويستملحهن ويتجبن الشباب ويتمنعن عليهن ليمتلكن من قلوبهم [5].

أما عن معاملة هؤلاء الرقيق فيقول المازوني في أخذ النوازل أن " رجل له زوجة وخادم لا قبول لهما على تعلم الدين وعن الطهارة والصلاة ما يتعلق بذلك إلا بمشقة وتعنف وربنا تعذر ذلك لأنها أعجمية " [6]، فهذه النازلة تشير إلى المعاملة الحسنة التي يلقونها هؤلاء من بعض الملاك بما شرعه الله عز وجل، والنازلة تشير إلى إنتشار الجهل والأمية في أوساط هذه الفئة، أما في نازلة أخرى فيذكر تأديب الخدم بقوله " ومن ضرب أمة فكسر سنها " [7] هذا ما أدى إلى فرار بعض العبيد من أسيادهن نتيجة إشتداد الضغط عليهن أو طلبنا للعتق فقد كان الأسياد يحتاطون من ذلك بوضع خلخال من حديد في قدم المملوك يعرف إن رآه [8].

أقدمت الدولة الزيانية على دمج العبيد في سلك الجيش النظامي خصوصا البيض منهم لذا كان الكثير يفضل الإنتساب إلى سلك الخدمة العسكرية، حيث يقول إبن خلدون أن هؤلاء " لا يأنفون من الرق مما يأملونه من الجاه والرتبة بأصطفاء الدولة"[9].

ثانيا: المجتمع البدوي:

1- أصناف البدو:

لم تقتصر التشكيلة السكانية في تلمسان، على سكان الحواضر، بل شكلت البداوي مركز ثقل هام، ويصف إبن خلدون سكان البداوي بقوله : المنتحلون للمعاش الطبيعي من الفلح والقيام على الأنعام، وإنهم مقتصرون على الضروري الأقوات والملابس والمساكن،

1- حليمة صراندي: المرجع السابق، ص49
2- مختار حساني : المرجع السابق ، ص 83 .
3 - عبد الكريم الشباب : المرجع السابق ، ص 18 .
4- الونشريسي : مصدر سابق ، ج 5 ، ص 188 .
5- عبد الكريم شباب : المرجع السابق ، ص 19 .
6- حليمة صراندي: المرجع نفسه، ص49
7- حليمة صراندي: المرجع السابق، ص49
8- الونشريسي : المصدر السابق ، ج 5 ، ص 146 ، 147 .
9- عبد الرحمان إبن خلدون : المقدمة ، ص 148 .

وسائر الأحوال والعوائد ومقتصرون عما فوق ذلك من حاجي أو كمالي يتخذون البيوت من الشعر والوبر أو الشجر أو من الطين والحجارة غير المنجدة [1]. ويشير صاحب العبر بأن أهل البداية أكثرهم، يعيشون حيات الترحال، حيث يقول لم يفارق فيه سكن الخيام وأبعاد النجعة وإيلاف الرحلتين [2]،فمن خلال ما ذكره إبن خلدون، فمعظم سكان الأرياف يعيشون حياة غير مستقرة، غير أنه في نص أخر يوضع لنا أصناف حياة الترحال بقوله: فمن كان معاشه منهم في الزراعة والقيام بالفلح كان المقام به أولى من الظعن وهؤلاء سكان المدر والقرى والجبال، وهم عامة البربر والأعجام، ومن كان معاشه في السائمة مثل الغنم والبقر فهم الظعن في الأغلب لإرتياد المسارح لحيوانتهم فالتقلب في الأرض أصلح بهم ويسمون الشاوية ومعناه القائمون على الشاه والبقر ولا يبعدون في الفقر لفقدان المسارح الطبية وهؤلاء مثل البربر وإخوانهم التركمان والصقالبة، وأما من كان معاشهم في الإبل فهم أكثر ظعنا، وأبعد في القفر مجالا لأن مسارح التلول ونباتها وشجرها لا يستغني بها، الإبل في قوام حياتها من مراعي الشجر بالقفر [3]. فقد ميز لنا إبن خلدون ثلاث مجموعات سكانية بدوية من حيث نمط المعيشة :

ـ البدو المستقرون الذين يتمركزون في السهول والتلال والهضاب، ويسكنون القرى ويعيشون من نتاج الأرض كالحبوب والفواكه .... فيدعوهم ذلك غلى الإستقرار وهم بقربهم من المدن والأمصار يتقون دوما إلى السكن فيه والإستفادة من رغد العيش المتوفر بها ،[4] فهؤلاء البدو أقرب لأهل الحواضر، ولهم القابلية للتمدن .

ـ البدو أصناف الرحل الذين يعيشون من تربية المواشي خاصة الأغنام والأبقار، وقد يضيفون لها ممارسة الزراعة كنشاط مكمل لحرفة الرعي وكان البحث عن مواطن الكلأ الماشية هو سبب ترحال هذه القبائل عن أوطانها في فصل الشتاء [5] .وعليه فهؤلاء كانوا يعتمدون على الماشية في عيشهم أما ترحلهم حسب إبن خلدون فهو محصور ومنظم حسب الفصول .

ـ هؤلاء البدو متبحرون في الترحال ويسكنون الصحارى والقفار [6]،فمصدر رزقهم الوحيد هو تربية الحيوانات، ولا يشتركون مع أية جماعة أخرى في الأرض أو المرعى والرابطة الوحيدة التي تشد أفراد منهم بالأخرين وتميز جماعات منهم عن الأخرى، هي رابطة الطبيعية رابطة الدم التي تبقيت لديهم واضحة الصفاء والنقاوة أنسابهم نتيجة تفردهم في القفر وعدم الإختلاط مع غيرهم .[7]

2- تنظيم المجتمع البدوي:

1- نفسه ، ص 121 .
2- عبد الرحمان إبن خلدون: العبر ، الجزء 7، ص 321 .
3- عبد الرحمان إبن خلدون : المقدمة ، ص121 .
4- عبد الكريم شباب : المرجع السابق ، ص 25 .
5- محمد عابد الجابري : فكر إبن خلدون العصبية والدولة ، معالم النظرية الخلدونية في التاريخ الإسلامي مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت : ط 6 ، 1994 ، ص 147 .
6- عبد الكريم شباب : المرجع السابق ، ص 26 .
7- محمد عابد الجابري : المرجع السابق ، ص 147 ، 148 .

تعد القبيلة محور للتنظيم الإجتماعي والإقتصادي في البادية سواء كانت هذه القبلية عربية أم بربرية في غالب الأحيان تتألف من عدة بطون .[1]
وقد إحتلت فئة المشايخ قمة البناء الإجتماعي في البادية، وقد أشار المازوني في أكثر من موقع إلى هذه الفئة التي كانت في الغالب المرجع الأول في تصريف أمور الجماعة في الريف حيث يقول : " عمد أحدهم إلى تزويج إبنته البكر التي في ولايته من شيخ بني تغرين وحال بني تغرين لا تخفى سيدي علمهم بقرب حالهم في وطنهم من حال الملوك لهم سلطان وإستطالة وإقتدار وإحتكار في الرعية " .[2]فقد إكتسب هؤلاء المشايخ مكانة سامية بين قومهم وعن مكانتهم يقول إبن حوقل " وفيهم ملوك ورؤساء مقدمون من القبائل يطيعونهم فلا يعصونهم ويأمرونهم فلا يخالفونهم "[3] من خلال ما تم ذكره .
نستنتج بأن هؤلاء المشايخ كانت بيدهم السلطة القبلية، فهم من يضعون القوانين ويفضون النزاعات، وكل ملزم بإحترام قراراتهم، حيث يقول جودت عبد الكريم :" ومرد إلتزام الفرد بالحكم الصادر عن مجلس القبيلة راجع لإقتناعه بعدله وإلا لكان بإمكانه وبكل سهولة أن يعتزل مجتمع قبيلته دون أن ينال أدنى عقاب بدني ويرجع هذا إلى الصفات البدوي نفسه الممثلة في حبه لحريته وفي بساطته وصراحته، وصدقه، وعدم إنصياعه للإهانة والمذلة [4]"، وبهذا فإن النظام القبلي يشكل وحدة إجتماعية متماسكة تضبط العلاقات بين الأفراد، وتنظم الشؤون العامة للجماعة المحلية في البادية، لكن يجب أن نشير أن رابطة الدم لم تكن وحدها دائما المؤدية إلى نشأة وتوسع القبلة لكنا تنشأ أيضا بحكم تعايش وحدة المصالح الإقتصادية والتكتلات السياسية [5].
والملاحظ في البادية أنه لا يظهر التفاوت الطبقي مقارنة بالمجتمع الحضري ففي البادية دائما يكون " البدوي الحامي للقرى والزناتي المالك المتحالف معه يكونان طبقة نبيلة " [6]،ونجد في أخر الهرم السكاني في البادية الحارثون وهم طبقة إجتماعية وعرقية في نظر البدوي غالبين يتكونون من مزيج من سكان أصلين والعبيد والقدماء [7].

المبحث الثاني:فئات ومكونات المجتمع الزياني.

أولا:الفئات الأصلية في المجتمع (الأغلبية):

1. البربر:

يفيدنا المازوني من خلال إحدى النوازل بتواجد القبائل البربرية في تلمسان [8]
وقد أشار الإدريسي إلى ذلك عند حديثه عن تلمسان، قائلا : " وهي أرض قوم من البربر " [1]، ومن خلال كتابه وما ذكرته المصادر، فإن السكان الأصليين لتلمسان هم بربر، وهذا ما أكده مارمول كربخال بقوله : " أن تلمسان إحدى ممالك البربر " . [2]

1- عبد الكريم شباب ، المرجع السابق ، ص 28 .
2- حليمة صراندي: المرجع السابق، ص56
3- أبو القاسم بن حوقل: صورة الأرض الفاروق الحديثة القاهرة، ص 97 .
4- جودت عبد الكريم يوسف : الأوضاع الإجتماعية والإقتصادية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع هجريين 10/09م ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، دت ، ص 252 .
5- عبد الكريم شباب : المرجع السابق ، ص 29 .
6- عبد المجيد مزيان : المرجع السابق ، ص 177 .
7- نفسه ، ص 188 .
8- حليمة صراندي: المرجع السابق، ص57

وعن أصلهم يقول صاحب فتوح البلدان : " وحدثني بكر بن الهيثم قال : سألت عبد الله بن صالح عن البربر، فقال : هم يزعمون أنهم من ولد بر بن قيس، وما جعل لقيس ولد يقال له بر، وإنما هم الجبارين الذين قاتلهم داوود عليه السلام، وكانت منازلهم بفلسطين، فأتوا المغرب فتناسلوا " [3].

ويقول صاحب مفاخر البربر بأنهم من أولاد قيس، سمي أحد أولاده بر، فقصد بر المغرب وإستوطن بها . [4]

أما إبن خلدون فيرجع أصل البربر إلى الكنعانيين، حيث يقول ما نصه " الحق الذي له ينبغي التعويل على غيره في شأنهم من ولد كنعان بن حام بن نوح، كما تقدم في أنساب الخليقة وإن أسم أبيهم مازيغ " [5].

قد تضاربت الروايات حول أصل البربر، فمنهم بنسبهم إلى أبناء يقشان إبن إبراهيم الخليل، وأخر يرجع أصلهم إلى العماليق والكنعانيين، وثمن من ينسبهم إلى نوح عليه السلام .

ومن خلال إحدى نوازل، يشير المازوني إلى أهم قبيلة إستوطنت تلمسان، وهي زناتة[6].

وتتفق المصادر عن إستيطان قبيلة الزناتة في تلمسان [7]، كما ينسبون قبيلة بني عبد الواد إلى هذه القبيلة، حيث يقول يحي إبن خلدون : " ولما كان إنتهاء بني عبد الواد أعزهم الله إلى زناتة البربر " . [8]

وتعد هذه القبيلة من قبائل البتر[9]، وهم أبناء مازيغ الأبتر، وعن أصلهم يقول إبن حزم: " أن زناتة هو شان إبن يحي بن صولات بن ورتناج بن ضري بن سقفو بن جنذواذ بن يملا بن مادغس بن هرك بن هرسق بن كراد بن مازيغ بن هراك بن هريكي بن بدا بن بديان بن كنعان بن حام بن نوح النبي صلى " [10].فهذه القبائل الزناتية التي عاشت في ظل الدولة الزيانية، تعد من الطبقة الثانية من زناتة، وهذا لتأثرهم بالعرب، نتيجة هجرات الهلاليين.

إن زناتة الأولى لم تختلط بالعناصر الأخرى، فحافظت على هويتها البربرية بالإضافة إلى قوتها التي جعلتها تسيطر على المغرب الأوسط في العديد من المرات عكس زناتة من الطبقة الثانية، التي رضيت بالإختلاط، وعرفت الضعف والهوان نتيجة الحروب

1- الإدريسي : المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق القرن السادس الهجري ، الثاني عشر ميلادي ، تحقيق محمد حاج صادق ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1983 ، ص 21 .

2- مرمول كربخال : مصدر سابق ، ص 290 .

3- البلاذري : فتوح البلدان ، ص 265 .

4- مؤلف مجهول : مفاخر البربر ، تحقيق عبد القادر بوباية ، دار أبي راقراق ، الرباط ، ط 1 ، 2005 ، ص 180 .

5- عبد الرحمان إبن خلدون : العبر ، 191 .

6- حليمة صراندي: المرجع السابق، ص58

7- أبو عبيد بن عبد العزيز بن محمد البكري : المسالك والممالك ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1، 2003 ص 259 ، ينظر الإدريسي : المصدر السابق ، ص 111 .

8- يحي إبن خلدون : المصدر السابق ، ص 88 .

9 ينظر الملحق -2- ص98.

10- أبو محمد علي بن أحمد بن حزم: (456هـ /1065 م) ، جمهرة أنساب العرب ، تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل دار الفكر الإسلامي بيروت ص 461 .

المتكررة، ففتحت الباب أمام العرب ومن بين المصادر التي تحدثت عن الطبقة الثانية من زناتة إبن الأحمر، حيث يقول : " ومن بينهم بنو عبد الواد الذين يعتبرون من الزناتة الجدد، المتأثرين بالهلالية، فإستقروا بهذه الناحية وإختلطوا مع بني يفرن، وأصبحت لهم السيادة عليهم " [1].

يصلح أن نطلق على هذه الطبقة من الزناتة التي إحتكت بالعرب وتعايشت معهم إسم "زناتة المستعربة "

تحدد مضارب قبائل الزناتة من تلمسان غربا إلى نهر الشلف شرقا، ومن ساحل شرشال شمالا إلى تيهرت جنوب، وقد كانوا يقومون بالرحلة من التل والسهول والواحات الصحراوية . [2]

2. <u>العرب :</u>

يعود تواجد العرب بالمغرب الأوسط إلى الفتح الإسلامي في نهاية القرن الأول للهجرة السابع الميلادي، كالعرب اليمنيين والمضربين والشاميين والعراقيين وإستمر العرب في التدفق على المغرب الأوسط فمعظم القبائل التي قدمت المغرب كانت من العرب اليمنية والمضربية، لهدف نشر الإسلام وتعاليمه بالمنطقة .

لتليها فيما بعد الهجرات الهلالية الموجهة من طرف العبيدين لضرب المعز بن باديس.

وكان هؤلاء العرب الفضل في نشر اللغة العربية، فقد إستقربتلمسان عدد كبير من العرب خلال العهد الزياني، حيث أشار صاحب الدرر المكنونة إلى القبائل العربية المتواجدة في المنطقة قائلا : " الديلم، وسعيد، ورياح، وسويد وبني عامر أمراء المغرب الأوسط " [3] وكل هذه القبائل تعد من القبائل العربية التي دخلت المغرب في ظل الهجرات الهلالية، وكان لهم حظوة لدى أمراء بني زيان، فقد قربوهم منهم وجعلوهم مقدمين على البربر .

وكانت لهم صلات مع القبائل العربية، وهذا ما يؤكده صاحب النوازل في أحد نوازله قائلا: "عن رجل كان رسولا بين بعض أشياخ العرب وبين السلطان ما أعطاه إلى من أجل ذلك".

كما أقطع سلاطين بني زيان لهؤلاء العرب الإقطاعات وجعلوا لهم أجورا، يقول أبو زكريا يحي المازوني : " ثم إن السلطان أنعم هذه الأرض على بعض أمراء العرب " ، ويقول كذلك : " وهذه الأرض المنعم بها على العربان " .

ويرجع سبب هذا التقريب والإغداق إلى خدمات العرب المقدمة لهؤلاء السلاطين، فكانوا يدافعون على البلاد مقابل إقطاع الأراضي أو أجر، ويرجع تعويل السلاطين عليهم إلى قوتهم وسيطرتهم على المنطقة، في الوقت الذي كانت تعاني الدولة من الضعف، وعدم الإستقرار بسبب قوة جيرانها وطمعهم في المنطقة يؤكد المازوني هذا الكلام في أحد نوازله بما نصه : " هؤلاء الأعراب المتغلبين على البلاد لضعف السلطنة أحيانا يكونون خدما

1- إبن الأحمر : تاريخ الدولة الزيانية تحقيق هاني سلامة ، مكتبة الثقافة الدينية بور سعيد ط1 2001 ص 110 .
2- مختار حساني : مرجع سابق ، ص 28 .
3- حليمة صراندي: المرجع السابق، ص59

للسلطان، وتارة يكونون مخالفين على السلطان، كما يفعل عرب بلادنا مثل بني عامر وبني سعيد، يعمد أحدهم إلى توليه قاضي بأمر الإمام " [1].

ويقول مارمولكربخال في هذا الصدد : " يتقاضون من الملوك رواتب ليحافظوا على أمن البلاد، وإذا شاءوا ثاروا وأنضموا إلى من يؤدي إليهم أحسن ثمن " [2].

يقول إبن الأحمر كذلك : " جلبت الدولة الزيانية العرب بني هلال إليها من بني صعصعة وبني سليم بن منصورة خاصة إستوطنوا تلمسان، وبرغم أنهم كانوا مصدر قلق وخطر على سلامة الإمارة وعاصمتها، فإنهم في الوقت نفسه كانوا مصدر قوة " [3].

إن سلاطين الدولة الزياينة كانوا يعانون من الضعف وغير قادرين على التحكم في شؤون الدولة الداخلية، وهذا راجع إلى الإضطرابات الخارجية، فكانوا مهددين من جميع الجهات، وفي هذا الوقت أقل نجم القبيلة التي إعتمدوا عليها في بناء الدولة، لذا قربوا منهم العرب من أجل مساندتهم، غير أن هؤلاء العرب لم يهتموا بشؤون الدولة وإنما إهتموا بمصالحهم الخاصة فكانوا دوما في صف من يدفع أكثر .

ونظرا لأوضاع الدولة فقد أخذ لهؤلاء العرب مكانة الزناتة، أصبحوا جبارين في البلاد يهددون القبائل والقرى، فكانوات مصدر قلق لسكان .

كما أنهم كانوا يكثرون من الإغارة على القرى من أجل السلب والنهب، يشير المازوني إلى ذلك في أحد نوازله قائلا " سئل شيخنا عن أهل قرية جاءها الأعراب خيلا ورجالا"[4].

ويقول كذلك : " سئل عن قوم يسكنون وطنهم وهم في هذا الوقت يخافون من العرب" يتبين من خلال هذه النازلة عدم وجود سلطة قوية تدافع عن هؤلاء سكان المتواجدين في القرى .

وقد أورد في نازلة أخرى : " إن قريتنا كما تعلم هي مملوكة، أو شبه مملوكة لأمراء العرب، يأتي الأمير لدار الحضري ويدخل داره، كأنه داخل ملكه هو أولاده وأتباعه أو أحد من الورثة أو أحد خدمها ".

ومن خلال هذه النازلة يتبين بأن ليست القرى وحدها كانت مهددة من قبل العرب، فحتى المدن لم تسلم من هذا الإعتداء، فقد كان هناك صراع بين هؤلاء والأعراب من بني هلال، الذين تقدموا إلى النواحي الساحلية، كما حظي شيوخ القبائل بمناصب في الدولة

1- حليمة صراندي: المرجع السابق، ص60
2- مرمول كربخال : سابق ، ص 291 .
3-ابن الأحمر : مصدر سابق ، ص 46 .
4- حليمة صراندي: المرجع السابق، ص61

الزيانية، وفي هذا الصدد يقول المازني :" أما توليه الخطط الفرعية نظر الإمام فيها باق، ولم يجعلها لهؤلاء الأعراب فلا يصح توليهم " [1].

فقد إستغل هؤلاء العرب مراكزهم فأصبحوا يتدخلون في شؤون الحكم، فكانوا يعينون أشخاص لا تتوفر فيهم شروط القضاء، لأنهم لا يزالون طلابا وبذلك يشوشون على قضاة الدولة الزيانية، وهذا دليل واضح على تسلط العرب وضعف الدولة .

وإلى جانب تسلط العرب على الدولة وحكامها، فالكثير منهم كانوا قطاع طرق يمارسون اللصوصية، يذكر هذا المازوني في أحد نوازله، قائلا : " سئل شيخا وسيدنا أبو الفضل العقباني عن رجل لقيه عربي بطريق فأخذ عدة ذهب منه، ثم أنه رد له بعضها وبقي بعضها في ذمته " [2].

فإن المسافرين لم يكونوا بأمان في الطريق، فكل الطرق كانت في أيدي الأعراب، ويوكد حسن الوزان هذا بما نصه : " وهي مساوئ لعصابة لصوص من الأعراب على إستعداد دائم للفتك بالمارين من هناك، حيث الطريق المؤدية من فاس إلى تلمسان، فلم ينجو هؤلاء التجار من شرهم، لا سيما في فصل الشتاء، لأن الأعرب المستأجرين للحفاظ على الأمن في البلاد يكونون قد رحلوا عنها أنذاك إلى نوميديا، ويبقى منهم الغير مستأجرين وحدهم ليعتاشوا من اللصوصية " [3].

فالعرب كانوا منقسمين إلى فئتين فئة مستأجرة من قبل السلطان تعمل من أجل الحفاظ على الأمن، وفئة أخرى غير مستأجرة تعمد لقطع الطريق واللصوصية لكي تعيش.

ثانيا:الفئات المهاجرة في المجتمع(الأقلية):

أ- أهل الذمة :

عاش إلى جانب المسلمين في تلمسان جاليات أخرى غير مسلمة، ويعود تواجد هؤلاء إلى العصور القديمة، كما توافدت أعداد كبيرة إليها وهذا لوجودها على شريط ساحلي طويل سمح بدخولهم إلى تلمسان، فوجود هؤلاء داخل المجتمع المسلم كانت تتحكم فيه قواعد الشريعة الإسلامية كما جاء في النص التالي : " يلزمهم أن يتميزوا في اللباس عن المسلمين .... ولا يركبون الخيل والبغال ولا الحمير بالأكف"[4]عرضا ولا يركبون في السروج ولا يتصدرون في المجالس ولا يبدأون بالسلام .... ويمنعون من إظهار المنكر كالخمر والخنزير والناقوس والجهر بالتوراة والإنجيل ... وفي تقدير الجزية إختلاف بين العلماء، فمنهم من قال أنها مقدرة أقل أو أكثر على ما كتب عمر رضي الله عنه إلى عثمان بن حنيف بالكوفة ... وهذا مذهب أبي حنيفة وأحمد إبن حنبل وأحد قولي الشافعي، ويجوز للإمام أن يزيد على مقداره ولا يجوز أن ينقص عنه ولا جزية على النساء والمماليك والصبيان والمجانين "[5].

1- نفسه، ص62

2- حليمة صراندي: المرجع السابق، ص62

3- حسن الوزان : المصدرسابق ، ص 19 .

4- أكف ، الإكاف : واكف الدابة وضع عليها الإكاف ، ينظر أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور أفريقي ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط 1 .

5- مصطفى علوي : صورة المغرب الأوسط في كتابات الرحالة الجغرافيين المغاربة ما بين القرنين 07 ز 09 الهجريين 13 و 15، مذكرة ماجيستر غير منشورة ، تخصص تاريخ وسيط ، جامعة الجيلالي اليابس ، سيدي بلعباس، ص88 .

إن الحدود التي وضعتها الشريفة من حقوق وواجبات اتجاه أهل الذمة واضحا ولكن تطبيقها كان يتوقف على طبيعة السلطة السياسية والظروف الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الإسلامي بصفة كبيرة .[1]

إن إستيطان " اليهود[2] والنصارى [3] في المغرب الإسلامي كان قبل مجئ المسلمين، حيث تمركزوا في السواحل وما إن فتح المسلمين بلاد المغرب فقد إنقلبت الكفة حيث إستمر وجودهم لكن بشكل قليل، فحسب البكري فإن النصارى كانوا متواجدين في تلمسان في القرن الخامس الهجري وذكر أن لهم بها كنيسة معمورة [4].

فوجودهم في المنطقة يعود إلى العهود القديمة حيث إستقروا في المنطقة منذ فجر التاريخ فجاؤوا مع الفينيقيين إليها، وبعد مجئ المسلمين تقلص عددهم، ولكن الإضطرابات التي حدثت في الأندلس جعلتهم يلجأون إلى المغرب الإسلامي فكانوا يرافقون القوافل التجارية، أشار المازوني إلى طائفة اليهود بتلمسان بقوله " سألت الشيخ سيدي أبو الفضل العقباني عن يهود بنو دار بإزاء مدرسة ".[5] يتبين من خلال النازلة أن المسلمين واليهود كانوا يقيمون في أحياء مشتركة وقد أخبر حسن الوزان على وجود تجمعات خاصة بهم قوله " حارة تضم خمسمائة دار لليهود"[6].

تعددت نشاطات هؤلاء داخل المجتمع فقد ذكر إبن مرزوق أنهم كانوا موكلين بمراقبة السلع بقوله " يتولى المسلم النصراني واليهودي ويحيطون به فيفتشونه من رأسه إلى قدمه، ظاهرا وباطنا لما عسى أن يدخل به من سلع التي يوظف عليها مغرم من المغارم، وحتى النساء يوكل بهن يهوديات يفتشن ويدخلن يدهن إلى لحومهن" . [7]قد أحترف هؤلاء التجارة حيث ذكر المازوني في أحد النوازل في تعاملاتهم بقوله " الحمد لله حضر شهود موطنا تحاسب فيه مردخان اليهودي مع سلول اليهودي على ما كان بينهما من معاملات ومداينة " [8]،كما ذكر في النازلة نوع السلعة التي تعامل بها وهي الشمع المسبوك، [9]عند إستقرائنا للنازلة يتضح لنا أن هؤلاء اليهود كانوا على درجة كبيرة من الغنى وهذا لممارستهم التجارة ويؤكد حسن الوزان هذا القول بقوله " كلهم تقريبا أغنياء، يضعون على رؤوسهم عمامات

1- حليمة صراندي: المرجع السابق، ص51

2 **أصل اليهود بتلمسان:« فترة حكم الزيانين تعد اهم حقبة تاريخية شهدت تواجدا كبيرا لليهود بتلمسان »**العديد من المخطوطات الموجودة حاليا بمكتبة بغداد بالعراق تؤكد أن اللقاء الذي وقع بين سيدنا موسى وسيدنا الخضر عليهما السلام كما ذكر في القرءان الكريم,وقع بأعالي مدينة تلمسان بهضبة لآلة ستي,وأن الجدارالذي تم إصلاحه ورفض أهل القرية استضافة سيدنا موسى وسيدنا الخضر عليهما السلام,أي منطقة "عين الحوت"وأن الجدار حسب تلك المخطوطات يتواجد بتلك المنطقة ’كما أن منطقة الغزوات تحتضن هي الأخرى ضريح سيدنا يوشع الذي تعتبره العديد من الروايات نبيا من أنبياء بني إسرائيل، جريدة الشروق, يهود الجزائر: التاريخ... المواقف و المصير,العدد 70 42 الثلاثاء 28 جانفي 2014.

3- حسن الوزان : مصدر سابق ، ج 2 ، ص 20 .

4- محمد إبن مرزوق : المسند الصحيح الحسن في مأثر ومحاسن مولانا أبي الحسن ، تحقيق ماريا خيسوسبيغيرا منشورات المكتبة الوطنية ، الجزائر ، 1981 ، ص 285 .

5- حليمة صراندي: المرجع السابق، ص52

6- حسن الوزن : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 20 .

7- حليمة صراندي: المرجع نفسه، ص52

8- عبد الرحمان إبن خلدون : العبر ، ج 7 ، ص 381 .

9- مسعود كواتي : اليهود في المغرب الإسلامي في الفتح إلى سقوط الدولة الموحدية، دار الهومة الجزائر د . ت ، ص151،150 .

صفراء لكنهم لم يبقوا أغنياء إلا فترة من الزمان، إذ نهبت أموالهم بعد الملك أبي عبد الله عام 93 هـ فأصبحوا اليوم يكادون يستكففون الناس[1].

يشير المازوني في نازلة أخرى تعامل هؤلاء اليهود بعقود المسلمين في الكثير من معاملاتهم غير أن العلماء نهوهم عن ذلك[2] .

كما إشتهر هؤلاء اليهود بممارسة الطب، فبعد إستيلاء أبو الحسن المريني على تلمسان جرى ذكر طبيب يهودي كان مشتهرا بالطب [3]،ونشط هؤلاء أيضا في مجال الصيرفة، خاصة في حوض البحر الأبيض المتوسط كتلمسان، بجاية، ففي هذه الأخيرة أقاموا حوانيت خاصة بتبديل العمل، والعمل بهذا الفرع التجاري المالي الخطير في حياة المجتمعات من صعوبة الإشتعال فيه نظرا للشروط التي يجب أن تتوفر في الصيرفة خاصة في المجتمعات الإسلامية، إذا من الشروط اللازمة والضرورية معرفة الشرع الإسلامي [4].

أعطى صاحب الدرر المكنونة إشارات حول النصارى بقوله : " هل يجوز بيع هذا الطعام للنصراني، " [5]من خلال ما ورد في الكتاب فقد أباح الفقهاء التعامل مع النصارى في المال والطعام وما نحو خلاف الخيل وما فيه مضرة للمسلمين كما حرموا التعامل معهم في أموال المسلمين لوجود أسماء الله عليها. وقد إمتهن هؤلاء التجارة وعاشوا داخل الموانئ مجتمعين تحت إشراف قنصل معتمد لدى العامل الزياني، كما إستعان بنو زيان بحراس من النصارى.

بالرغم من تسامح المسلمين مع الجاليات الأخرى إلا أنهم كانوا مجبرين على دفع الجزية كما حددها الشرع، في هذا الصدد يقول المازوني : " سئل أبو الفضل العقباني عن يهود سكن البادية ويتاجرون في أنواع المتاجر وبعضهم سكن الحاضرة تكون إقامتهم في البادية هل تأخذ الجزية من جميعهم أو تأخذ من المساكين خاصة؟ وما مقدار ما يأخذ منهم " . فأجاب " منهم من هو يهودي ذكر حر مكلف مخالط لهم وهو تحت حكم الإسلام وصونه وضربت عليه الجزية أكان بالحاضرة أو بالبادية وقدرها أربعة دنانير وأربعون درهما بالوزن الشرعي على كل شخص في كل عام والله الموفق بفضله ".[6]

فالجزية كانت مفروضة على كل بالغ ذمي له القدرة المالية وأسقطها الشرع على الصبي، المرأة، رجال الدين وضعفاء الحال [7].

ب-**الاغزاز** :

هم من القبائل التركية التي كانت تسكن اواسط آسيا قبل انتشار الاسلام ،و قد اعتنقوا الاسلام في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري ،العاشر الميلادي، وقد حلوا ببلاد المغرب في عهد يوسف بن تاشفين سنة 450 - 500هـ / 1106م الذي أدخلهم إلى جيشه سنة 454 هـ / 1062م، غير أن البعض يرى أنهم دخلوا إلى بلاد المغرب في منتصف القرن السادس الهجري – الثاني عشر الميلادي في عهد الحركة التوسعية التي بدأها الموحدون

1- مسعود كواتي : المرجع السابق، ص 408 .
2- حليمة صراندي: المرجع السابق، ص52
3- نفسه، ص53
4- عبد الرحمان إبن خلدون : العبر ، ج 7 ، ص 381 .
5- مسعود كواتي ، المرجع السابق ، ص 150 - 151 .
6- حليمة صراندي: المرجع السابق، ص53
7 _ نفسه، ص54

بقيادة عبد المؤمن بن علي 524 – 558 هـ / 1129 – 1162م، وقد استعملهم الموحدون بعد ذلك في جهادهم ضد مسيحي إسبانيا، فأبلوا البلاء الحسن في هذه الحرب المقدسة.

و بعد سقوط دولة الموحدين في المغرب الإسلامي وقيام الدويلات المستقلة الثلاث على أنقاضها، خدموا جيوش هذه الدول ومن بينها جيش الدولة العبد الوادية حيث إلتحق بعضهم بالجيش يغمراسن بن زيان وذلك إبتداءا من تأسيس دولته سنة 633ه / 1235م، وقد إختلف المؤرخون في تحديد إنتمائهم العرقية فهناك من يذكر أنهم الأغزاز، بينما جعلهم البعض الآخر كالأكراد، ويبدو أن هذا الإختلاف يعود إلى وجود فرقتين في جيش يغمراسن، الأولى من الأغزاز والثاني من الاكراد، وقد إندمجوا في المجتمع العبد الوادي وتطبعوا بطبائع سكانه.[1]

ج- الأندلسيون:

ظلت مدن وقرى المغرب الاوسط مفتوحة امام المهاجرين الاندلسيين خصوصا بعد تراجع المد الإسلامي بالاندلس وسقوط معظم الحواضر الاندلسية الكبرى في يد النصارى الأسبان، فكان المغرب الاوسط ملجأ هاما ومحطتا لهؤلاء المهاجرين الذين كانوا يفضلون الإستقرار فيه لتحقيق طموحاتهم العلمية، والسياسية والعسكرية والاقتصادية.

والظاهر أن الوجود الأندلسي المبكر في بلاد المغرب بدأ مع الدولة الاموية التي كانت تبحث عن قاعدة أندلسية امامية في بلاد المغرب تقف بها في وجه المد الفاطمي، وإستمر تدفق الاندلسيين على بلاد المغرب الأوسط في القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي بعد سقوط الخلافة الأموية في الاندلس 422ه / 1029م وتكوين دولة الطوائف وإستغاثة ملوكها بالمرابطين[2] حيث أجاب صريخهم يوسف بن تاشفين فكانت موقعة الزلاقة 464ه / 1086م1فبسط بعدها المرابطون نفوذهم على الاندلس تحت حكم المغاربة قرابة قرن ونصف بعد مواقع حاسمة منها موقعة آفليش 501ه / 1108م2 وإفراغة 528ه / 1134م، وحصن العقاب609ه / 1212م، وفي هذه الاخيرة كانت الغلبة للإسبان انهار سلطان الموحدين في الاندلس والمغرب الإسلامي أيضا.

ومن هنا تتضح للباحث أن الهجرة الاندلسية الي بلاد المغرب الاسلامي ومنها اراضي المغرب الاوسط كانت نتيجة لظروف سياسية جعلت هؤلاء السكان يتركون أراضيهم ويتوجهون الى بلاد المغرب الاسلامى.[3]

وقد كان اغلب المها جرين الاندلسيين قد استقروا بمدينة تلمسان في العصر المرابطي 434هـ-1042م 541هـ-1147م والموحدي 524هـ-1129م 668هـ-1265م ما بين القرنين الخامس والسابع للهجريين، الحادي عشر والثالث عشر الميلاديين وقد كان عددهم كبيرا خلال هذه الفترة، جاءوا إلى مدينة تلمسان عاصمة المغرب الأوسط يطلبون الآمان والسكينة بعدما استولى المسيحيون الإسبان على أملاكهم وديارهم وهددوهم في عقيدتهم ولغتهم.

1_ خالد بلعربي: المرجع السابق 230 – 231

2- خالد بلعربي المرجع السابق، ص 225

3- نفسه،ص 226

و كان جل هؤلاء المهاجرين من الفقهاء والعلماء والأدباء والفلاحين والصناع فأخذوا يمارسون مهنهم الراقية في وطنهم الجديد[1].

و مهما يكن من أمر فالملاحظ أن المهاجرين الأندلسيين الذين نزلوا بمدينة تلمسان كانوا من الأعلام وأهل البيوتات، ومن وجوه القوم وأعيان الأندلس، وقد حظيوا بشأن عظيم في عهد يغمراسن بن زيان حيث أصدر في شأنهم ظهيرا يؤكد على عناية الدولة العبد الوادية بهم وحقهم في السكن والتملك للأراضي الزراعية وتكريم أعيانهم، وينص الخطاب الرسمي في الظهير على أن يغمراسن: " بوأهم من اهتمامه الكريم وإنعامه العميم جنات ألفافا".

و يشير ابن الخطاب بأن العاهل التلمساني فضل إسكان هؤلاء المهاجرين مدينة تلمسان دون سواها من المدن الأخرى في المغرب الأوسط، وفي هذا الصدد يقول:"وأطلع يغمراسن على أغراضهم الأندلسيون السديدة في اختيار حضرته السعيدة للسكنى، على سائر البلاد، فلاحظ منهم النية واعتبرها وأظهر عليهم مزايا مالهم من هذه... وأذن أيده الله لهم ولمن شاء من أهل تلمسان".

وقد أصدر يغمراسن هذا الظهير نظرا لما لحق بالأندلسيين من مصائب في عقيدتهم وفي أموالهم وأوطانهم وفي هذا يقول ابن خطاب:"و وطأ لهم جناب احترامه تأنيسا لقلوبهم المنجاشة إلى جانب العلي و أشاد بماله فيهم من المقاصد الكرام، وأطفى عليهم من جنن حمايته ما يدفع عنهم طواق الاضطهاد".[2]

[1]- خالد بلعربي، المرجع السابق، ص 226

[2] - نفسه، ص 227.

الفصل الثاني
أزمات ومشاكل المجتمع

المبحث الأول:المشاكل الاجتماعية والأمنية

أولاً: فساد الأخلاق

1_مظاهر الفساد في المجتمع

2-الغش والرشوة

3-الإنحلال الخلقي

ثانياً:قلة الأمن

1_اللصوصية وقطع الطريق

2_الفتن والحروب

المبحث الثاني:المجاعات والأوبئة

أولاً:المجاعات

1_تعريف المجاعة

2_عواملها:

أ:بشرية

ب:طبيعية

3_أهم المجاعات

ثانياً:الوباء

1_تعريفه

2_أسباب حدوثه

3_أهم الأوبئة

4-انواع الاوبئة

ثالثاً: نتائجهما

1_النتائج الإجتماعية

2_الإقتصادية

المبحث الأول: المشاكل الاجتماعية والأمنية

إن المتتبع للمصادر الزيانية والمتمع يجدها قليلة الاهتمام بالأمراض والظواهر الطبيعية، رغم أهميتها وتأثيرها على صحة الإنسان ونمو السكان والاقتصاد والعمران، خاصة الناتجة عن الحروب والأزمات السياسية ضف إلى ذلك بعض الآفات الاجتماعية التي عرفها المجتمع والتي تتعلق بالمنكرات لكن لها صدى أخلاقي كبير وتأثير اجتماعي عميق

أولا: فساد الأخلاق

1- مظاهر الفساد في المجتمع:

بالرغم من انتشار التصوف خلال المراحل التي مرت بها الدول الزيانية وطغيانه فإن حياة السكان لم تكن كلها حياة زهد وتقشف فقد شهدت تلمسان بعض الانحلال داخل المجتمع، لعل سبب ذلك يرجع إلى موقع تلمسان، مما جعلها أكبر مركز تجاري يتوافد عليها التجار

من مختلف المدن، لذا كان لهم دور في انتشار بعض العوائد الداخلية على المجتمع المسلم، وأدى هذا إلى حب الشهوات واستئثار حياة الترف المجون، فقد ذكر ابن خلدون أن "الترف مفسد للخلق بما يحصل في النفس من ألوان الشر والسفسة... فتذهب منهم خلال الخير التي كانت علامة على الملك ودليلا عليه، ويتصفون بما يناقضها من خلال الشر فتكون علامة على الإدبار والانقراض بما جعل الله من ذلك في خليقته، وتأخذ الدولة مبادئ العطب وتضعضع أحوالها وتنزل بها الأمراض المزمنة من الهرم إلى أن يقضي عليها"[1].

هذا الوصف ينطبق على عصر المازوني، الذي عرف الضعف والهوان وانتشار الآفات الاجتماعية، وعند تصفح كتاب الدرر المكنونة نجد العديد من مظاهر الفساد داخل المجتمع التلمساني.

2- الغش والرشوة:

إن تأصل هاتين الظاهرتين في المجتمع يعود إلى ضعف تطبيق أحكام الشرع، حيث يشير الونشريسي إلى ضعف الأحكام داخل البوادي يقول: " أخذ بعض الشيوخ إلى الجعائل على الفتاوى، وفي رد المطلقة ثلاثا ونحوها، كما يفعل الكثير من جهلة البادية فلا يحل ولا يجوز،[2] " فمهنة القضاة تأثرت بالضعف السائد فأصبح القاضي يأخذ الرشوة من أصحاب القضايا أو أمراء الدولة أو شيوخ القبائل أو ولاة الدولة الزيانية في نواحيها المختلفة، كما نجد أن الرعية كانت ترتبط بالعلماء الذين كان لهم اتصال بالسلطنة لرفع الظلم عنهم فصار خير باب من أبواب الرشوة، لم يكن القاضي والمفتي هما اللذان يأخذان الرشوة بل امتدت إلى العلماء الذين كانوا على صلة بالأمراض والرعية لذلك كان الناس يطلبون منهم أن يقضوا حوائجهم[3] ويوضح لنا المازوني العلاقة بين ضعف البلاد والعلماء بقوله: "سيدي إن حال بلادنا كما عملت من كثرة فسادها وعدم جريان الأحكام الشرعية فيها يقع بالرجل من نازلة يقض الحكم فيها كالحديث في المشهور من المذهب، كالحدث بالإيمان اللازمة، مثلا فإذا حكم القاضي فيها بتحريم الزوجة، فيأمره صاحبه المذكور برجوع الزوجة، وعد الانقياد لحكم القاضي"[4].

أصبح الناس يفتون بدون العلم في الأمور العقائدية، دون الرجوع في بعض الأحيان إلى علماء العصر الذين كانوا لا يفتون إلا إذا وصلوا لدرجة الاجتهاد.

أما الغش فكان منتشر بصفة كبيرة في الأسواق، وبين فئة التجار، فظهرت في تلمسان النقود المغشوشة[5]، لم يعطي المازوني وصف دقيق حول ظاهرة الغش غير أن العقباني فصل في هذه الظاهرة، حيث أورد أنواع عديدة من الغش كقوله: " ومن الغش بنفخ اللحم المهزول[6] " هذه ظاهرة شاعت بين الجزارين، حيث ينفخون داخل اللحم المهرول حتى يتبين

---

[1] _ عبد الرحمان ابن خلدون: المقدمة، ص 170.
[2] _ الونشريسي :المصدر السابق، ج5، ص236.
[3] _ مختار حساني: المرجع السابق ،ص 185.
[4] _ حليمة صراندي: المرجع السابق، ص160
[5] _ نفسه، ج3، ص141.
[6] _ العقباني أبو عبد الله محمد بن أحمد بن قاسم بني سعيد: تحفة الناظر غنية الذاكر في حفظ الشعائر وتغيير المناكر، تحقيق علي الشنوفي، نشر المعهد الفرنسي، دمشق، 1967 م، ص226.

للمشتري أنه ممتلئ، وهذا ما أنكره الفقهاء لأنه طعم اللحم، وهو من الغش المنهى عنه في البيوع.

كما جرت العادة عند بعض الخبازين أن صنعوا الخبز قبل غربلة القمح حتى صار يشتري خبزا يجد بداخله حصى، وأخطر أنواع الغش الذي يؤثر على اقتصاد الدولة هو الغش في الدنانير والنقود[1].

3- الانحلال الأخلاقي:

لم يقتصر الفساد الاجتماعي على الرشوة والسرقة بل تعدى إلى حد انحلال الأخلاق داخل المجتمع، فقد أشار المازوني في كتابه الدرر المكنونة إلى الكثير من مظاهر الانحلال كانتشار الفاسقين ومرتكبي الرذيلة، حيث يذكر أن "بعض أهل الوقاحة والدعارة هجموا على دوار ليلا وقتلوا من أهله رجلا وقتل أهل الدوار من المهاجمين رجلا في تلك الليلة "... تدل النازلة على وصول الدولة إلى كبيرة من ضعف أشرفت به على الهالك.

كما سبق الذكر أن وضعية المرأة في الدولة الزيانية خلال هذه الفترة كانت متردية حيث استغلت أبشع الاستغلال خاصة في البوادي حيث ينعدم الأمن لذا شاعت ظاهرة خطف البنات، لكن هنا يختلف الأمر بل نجد أن المرأة هي التي تقوم بالهروب من البيت الأسري بكامل إرادتها، وقد أورد المغيلي مجموعة من النوازل تتعلق بهذا الأمر منها قوله: "امرأة تنشز من زوجها وتهرب منه مع آخر وينتهي بها لموضع ويتمنع فيه بها فإذا كرهها زوجها أو أيأس منها طلب الهارب منه مالا يعطيه إياه فيطلقها زوجها "وجاء أيضا " أن رجلا خالع زوجته ثم بعد مدة ظهر بها حمل فقال الناس إنه من فلان لغير زوجها فأخذها قائد الموضع وكتفها وضربها وقال لها أخبريني لمن هذا الحمل لكي تخبره بفلان المقول عند ذلك فيأخذها له بهذا السبب على علم عادة أهل الظلم فقالت له المرأة إنه من معارفي كنت معه في الفساد بعد خلعه إياي"[2].

يتبين من خلال ما أورده المازوني أن الانحلال الأخلاقي كان منتشر بين النساء ويعود إلى الأسباب التالية:

- خروج النساء إلى الأسواق بادية الوجه خصوصا في البوادي، حيث يقول أبو زكريا يحي المغيلي بما حكم "الشهادة من تخرج امرأة إلى السوق وتحضر اللعب وهي شابة وهو يقدر على منعها"[3].

وهذا ما يؤكده العقباني بقوله: "ومن ذلك جلوسهن إلى الصناع يستصنعن عندهم شيئا من المصنوعات وكذلك الإطالة بالوقوف على حوانيت البياعين وخصوصا ذوي العطر والطبيب والروائح لأن ذلك كله داعية إلى الفتنة "وجاء أيضا أنهن "يجمعن في بعض الأسواق التي قد يضطررن إليها كسوق الغزل ونحوه وربما خالطهن الرجال وسفلة السماسرة.

وهذا ما يسمح لهن بالاختلاط مع سفلة القوم الذين يسممون أفكارهن فيصبحن عرضة لتلاعبهم.

---

[1] _ حليمة صراندي: المرجع السابق، ص160

[2] _ نفسه، ص 163

[3] _ حليمة صراندي: المرجع السابق، ص416

- اجتماع الناس لتويزة بالرغم بأن هذا الأمر مستحسن لما فيه من تعاون وتكافل داخل المجتمع غير أنه كان يعود على المجتمع بنتائج سلبية حسب ما أورده العقباني من "خروج النساء لمجالس تجمعهن كما يفعل عندنا في مجتمع يسمونه التويزة يغزلن عند امرأة واحدة في منزلها ما تدعوهن لغزله من كتان أو صوف إعانة ورفقا... وكذا خروجهن اليوم لمجالس النساء واجتماعهن ببعض لما ينتج عن ذلك من التعرض لأخذ مال الزوج أو فتنة الصغار منهن بهروبهن عن أزواجهن وكثرة خروجهن في الأزقة وتعرضهن للفتن".
- تردد النساء على مقابر، حيث كان النسوة تجتمعن فيها ويتخذن منها مجالس للتنزه وقد يعارضهن بتلك الحالة كثير من الفساق.
-والذي زاد من انتشار هذه الظاهرة داخل المجتمع هو انتشار الجهل بين النساء حيث يقول صاحب الدرر المكنونة أن "رجل من طلبة العلم تزوج امرأة واستخبارها بعد بنائه بها عن الإيمان فوجدها جاهلة بوحدانية الله"[1]، هذا الجهل سهل عمل كثير من مفسدي الأخلاق في الأخلاق بالتلاعب بالنساء.
- انتشار الاختلاط في الحفلات كقول ما ذكر في السؤال من الشطح والرقص بين يدي الرجال والأجانب ولا يخفى ما ينتج عن الاختلاط في هذه المواطن الرذيلة من المفاسد[2]، "ويضيف العقباني في هذا الصدد بما قوله: "واجتماعهن للملاهي والرقص الذي ليس من طور العقلاء ومن ذلك تصرفهن بأنواع الزينة البادية وأسباب التجميل الظاهرة على اختيال في المشي وأعمال منتشرة وإظهار ما يستدعي الفتنة فمثل هؤلاء ينبغي منعهن من التصرف على هذه الحالة"[3].

هذا ما شجع النساء على الهروب من بيوتهن و ارتكاب الرذيلة وبذلك انتشار الأمراض الاجتماعية مما يصعب علاجه.

كما شهد هذا العصر ظاهرة تعاطي الخمور وشرب المحرمات ولعل هذا يعود إلى وجود جاليات مسيحية داخل المجتمع التلمساني روجت بيع الخمور بين أوساط المسلمين قصد إفساد أخلاقهم، حيث يقول المازوني أن " بعضهم يستحق اللعب واللهو في العرس ما لم يستحق غيره وهل يباح طعام شارب الخمر وكل ما يوجد بين يديهم من الفواكه اليابسة والخضراء ويصنعون طعاما ليشربوا عليه الخمر وتبقى منه بقية لم تصنع ويشتروا عنبا ليعصروا منه خمرا"[4]. وأبشع مظاهر الفساد هو التجرؤ على الدين، فقد شهدت الأيام الأخيرة من الدولة الزيانية تجرأ الجهالة على الفتوى في النوازل العظام على حسب أغراضهم بما قد نقلوه فلم يفهموه أو قاسوه فجربوه من رخصة قاتل أو نظرة ناظر في مذهب من المذاهب الشاذة الأقوال وربما مر بنظره الفاسد في أشباه هذه الأقوال إلى استنباط أشياء لا رأس لها ولا ذنب يخرق في بعضها الإجماع فبينما هو يفتي بأن المطلقة ثلاثا ترد إلى الواحدة وبجواز

[1] نفسه، ص165.
[2] حليمة صراندي: المرجع السابق، ص165
[3] العقباني: المصدر السابق ،ص269.
[4] حليمة صراندي: المرجع نفسه، ص160.

أم الولد إذا به يفتي بإباحة التيمم للصلاة والفطر في رمضان الصحيح القادر المقيم إذا شق استعمال الماء وسئم الصبر عن الغذاء وأشبه هذه من الفواحش القاسمة للظهر[1].

وها ما أضعف الدين والأمة والشيء الذي دعّم هؤلاء الجهال هو أخذ العوام عنهم واقتداء بهم، فقد حرم العلماء الأخذ عنهم كما شددوا في عقوبتهم حيث يقول العقباني أن: "الواجب على كل من ملكه الله تعالى القبض على مثل هؤلاء وإرهاقهم العقوبة الشديدة والتنكيل المبرح لا يتعاطى أحد فوق قدره لا يتعدى حدود طوره فإن فتنة هؤلاء في الأمة أشد من فتنة الجوع والخوف وتخريب البلاد ونهب النفوس والأموال"[2].

ثانيا: قلة الأمن

1- اللصوصية وقطع الطريق:

أشار حسن الوزان إلى تفشي ظاهرة السرقة قائلا: " ذهبت إلى السوق لشراء بعض ضروريات السفر الذي كنت أقوم به.. وصلت ممتطيا فرسي وأول ما اشتريته حبال خيام... وبعد أن فرغت من شرائي وضعت رجلي اليسرى على عنق الفرس حتى أستطيع تعداد مالي على ركبتي وأطلقت العنان التفت لأعطي ثمن ما اشتريت، ثم استقمت ووضعت رجلي في الركاب لكنني لم أجد العنان عندما أردت إمساكه... وإذا بسيافين من خدام الملك أتيا وقالا لي: " يا سيدي لقد سرق عنانك بغالان للخليفة لم يدريا أنك ضيفنا[3]، "وعندما تعرض لمدينة أنكاد أورد بأنها مأوى لعصابة لصوص من الأعراب على استعداد دائم للفتك بالمارين من هناك حيث الطريق المؤدية من فاس إلى تلمسان، وقل ما ينجوا التجار من شرهم لاسيما في فصل الشتاء لأن الأعراب المستأجرين وحدهم ليتعيشوا من اللصوصية فكانت اللصوصية دخلا للكثير خصوصا في أواخر أيام الدولة الزيانية وحتى النوازل الفقهية تعرضت لموضوع اللصوصية فنجد نوازل أوردها كل من صاحب الدرر المكنونة وصاحب المعيار، فقد ذكر أبو زكريا المغيلي أن عرب كانوا يقطعون الطريق في المارة في أحد نوازله بما نصه" جماعة في مغربنا من العرب تبلغ ما بين فارسها وراجلها قدر عشرة آلاف أو تزيد، ليس لهم حرمة إلا شن الغازات، وقطع الطريق على المساكين، وسفك دمائهم و انتهاب أموالهم بغير حق"[4].

ويفيد الونشريسي كذلك بوقوع حوادث السرقة وقطع الطريق وغير ذلك من أنواع الفساد، فقد أورد أن مجموعة من اللصوص سرقوا دكانا وقاموا بقتل صاحبه، كما ذكر أن لصوصا كانوا يقطعون الطريق ويفسدون في الأرض[5]، لذا كانت الكثير من المواضيع في تلمسان والمغرب الأوسط تفتقر للأمن بسبب هؤلاء المفسدين، فذاع الرعب والخوف في المجتمعات، خصوصا في المناطق الجبلية والبوادي البعيدة عن الحواضر، كما تستنتج من خلال النوازل التي ذكرها المازوني و الونشريسي، أن قطاع الطرق واللصوص كانوا

[1] العقباني: المصدر نفسه، ص259.
[2] العقباني: المصدر السابق، ص258.
[3] الوزان حسن، المصدر السابق ، ج2، ص27.
[4] حليمة صراندي: المرجع السابق، ص160 ص161
[5] الونشريسي،المصدر السابق ، ج5، ص305، ج 12 ص58.

يحملون معهم أسلحة، يستعملونها في مهاجمتهم، لذا أجاز الفقهاء قتالهم ومحاربتهم لحملهم السلاح.

ولم تبقى أعمالهم مقتصرة على السرقة في الأسواق وقطع الطريق وسلب البيوت، بل امتدت إلى أعراض الناس وفي هذا يقول المازوني: " سألت الشيخين الفقيهين محمد بن العباس وسيدي الحاج محمد الحفيد العقباني بما نصه: "ما تقولان رضي الله عنكم في رجل أتى هو ولصوص معه وهرب بامرأة على عادة أهل البوادي ومكثت عنده تارة يبيت معها في هذا الدوار ليلة وتارة في دوار آخر إلى أن انتزعت منه وردت إلى أهلها وأشهرت حين وصلت أهلها أنها مقهورة ومغصوبة" وجاء أيضا أن "رجل رفع أمره لقاضي بلده لأنه استعان ببعض العصاة واللصوص حملهم إلى إمرأة في دوار فحملوها قهرا من وطنها إلى وطنه وأنه تزوجها بأثر ذلك فعزلها القاضي حتى يستعلم حقيقة أمره".

من خلال النازلتين نستنتج:

أن هؤلاء اللصوص امتدوا إلى نهب المنازل وأخذ نساءها وبناتها دون وجه شرعي.

فضعف سكان البوادي، وعجزهم عن رد عنوان هؤلاء جعلهم ينتقلون داخل القرى بكل حرية، لحفاظ هؤلاء السكان على أعراضهم كانوا يسارعون بتزويج بناتهم وهو ما يؤكده المازوني من خلال نازلة نصها" سئل أيضا عن يتيمة خاف عليها قومها من الفساد[1] أن يهرب بها المفسدين طوعها منها أو كرها لكونهم ببلاد سائبة وما هو يعني السايبة لضعف أحكام القضاة، فاتفق رأيهم أن يزوجوها وهي كارهة معلنة الكراهية[2]، قد زاد التعي في البوادي نتيجة ضعف أحكام القضاة ولم يكن من يدفع البلوى عن سكان، لأن شيوخ القبائل هم أنفسهم كانوا يلجأون إلى هذه الطريقة وفي هذا الصدد يقول المازوني أن "بكر يتيمة فرت بنفسها في زمان مسغبة لوطن غير وطنها فوقعت عن شيخ من أشياخ الموضع فحبسها وتزوجها بغير ولي على وجه العداء"[3].

2- الفتن والحروب: جدول أهم الأحداث السياسية في تلمسان

حليمة صراندي: المرجع السابق، ص170 ص 171

الآثار الناتجة عنه	الحدث	المكان	السنة
- أعمال النهب والقتل. - أخذ الجباية من أهلها بعد احتلالها	توجه السلطان أو زكريا الأول لاحتلال تلمسان	تلمسان	640هـ/1242
- قيام بنو توجين بعمليات النهب والعبث والفساد للقرى المحيطة بتلمسان، كقطع الثمار وإفساد الزروع وإحراق القرى انتقاما من يغمراسن	حصار السلطان المريني لتلمسان تخريب قبائل بين توجين لتلمسان	تلمسان	670هـ/1271
- تحطيم القرى المجاورة لها ونسف زروعها	تحركات السلطان المريني يوسف بن يعقوب المتكررة على تلمسان وحصارها	تلمسان	689/697هـ-1297/1290م

[1] _ حليمة صراندي: المرجع السابق، ص162

[2] _ حليمة صراندي: المرجع السابق، ص162

[3] _ نفسه ، ص 163.

- بناء مدينة	الحصار الطويل	تلمسان	698/706هـ
- غلاء شديد في الأسعار - مجاعة عظيمة - خراب عمراني لكثير من المدن مثل: مدينة المنصورة	لبني مرين على تلمسان واحتلالهم بعض مدن المغرب الأوسط		1298/1306م
- تخريب قصور بني عامر في الصحراء وانتهاء معسكر السلطان أبو حمو	تحرك السلطان المريني عبد العزيز إلى تلمسان واستيلائه عليها	تلمسان وقصور بنو عامر في الصحراء	771هـ/1369م
- تضرر تلمسان نتيجة ذلك	الصراع حول الملك	تلمسان	792 هـ

من خلال الجدول يتبين أن الفتن والحروب لها تأثير قوي حيث ينعدم الأمن وتكثر الفوضى والقلائل وتهجر الناس وتنهار الدولة كما أن الحروب غالبا ما تؤدي إلى ارتفاع الأسعار والحصار هو ضرب قوة الخصم يشن عليها مجاعة (حرب اقتصادية) فالتخريب والنهب هو سبب في تراجع قوة اقتصادية الدولة لذا ترفع الأسعار ويجوع الناس.

المبحث الثاني: المجاعات والأوبئة

شهدت تلمسان كغيرها من أقاليم المغرب الأوسط عدة كوارث وأزمات عرفت المنطقة على إثرها سلسلة من التحولات الكبرى في مسارها التاريخي، فكانت أزمتا الجوع والوباء من أشد البلايا وقعا على هذا المجتمع، خاصة وأنها شكلت واقعا مريرا وصعب على سكان تلمسان في تلك الفترة.

أولا: المجاعات

اختلفت التسميات التي تطلق على المجاعة بالرغم من أنها تصب كلها في مفهوم واحد، يدل على ارتباطها بنقص الغذاء أو انعدامه، وهي ظاهرة اقتصادية واجتماعية تؤثر على عجلة تقدم الأمم.

1/ تعريف المجاعة: ـ لغة:

فالمجاعة في اللغة هي المفعلة من الجوع ومن الفعل جاع يجوع، فهو جائع وجوعان والجوع نقيض الشبع وهو اسم للمخمصة وهي مصدر مثل المغضبة والمعتبة وهي خلاء البطن من الطعام جوعا والمسبغة أيضا تعني جوعا، وقد جاء في قوله تعالى:

"فلا اقتحم العقبة، وما أدراك ما العقبة، فك رقبة، أو إطعام في يوم ذي مسغبة" أي الجوع، فقال: سغب الرجل يسغب، وسغب يسغب سغبا، جاع والسغبة جوع[1].

ويطلق على المجاعة أيضا مصطلح الألبة، وهي مأخوذة من التألب والتجمع، لأن الناس يجتمعون في المجاعة ويخرجون إرسالا، ويقال الجوع أيضا الخوبة "وأصابتهم خوبة" بالخاء المعجمة: أي المجاعة، ولفظ الخوبة يطلق ايضا على الأرض التي لم تعطر بين أرضين ممطرتين، يعني المجاعة والحاجة، أما الخصاصة فهي الخلة والفقر وذو

[1] _ إبن منظور: لسان العرب، حرف أ، ص 431-432، الفيروز أبادي، القاموس المحيط، حرف أ، ص15.

خصاصة ذو فقر وقيل أن العرب كانت تسمى الشتاء مجاعة لأن الناس يلتزمون فيه البيوت ولا يخرجون إلا للانتجاع[1].

أمدنا المازوني من خلال كتابه الدرر المكنونة بعدة إشارات حول المجاعات التي ظهرت بتلمسان حيث يقول في أحد نوازله أن " إمرأة ترتبت في ذمتها القمح ذلك دارها فلم تمضي أجل الرهن جاء إلى المرأة فوجدها مريضة هي وزوجها وذلك سنة المسغبة"[2].

2/ أسبابها:

ظهور المجاعات مرتبطة بعدة عوامل وأسباب حيث يقول ابن خلدون: " أن المجاعات تكثر عند ذلك في أواخر الدول والسبب ذلك فيه: إما المجاعات فلقبض الناس أيديهم عن الفلح بسبب ما يقع في آخر الدولة من العدوان في الأموال والجبايات، أو الفتن الواقعة في انتفاض لرعايا وكثرة الخوارج لهرم الدولة، فليقل احتكار الزرع غالبا وليس صلاح الزرع وثمرته بمستمر الوجود ولا على وتيرة واحدة فطبيعة العالم في كثرة الأمطار وقلتها مختلفة، والمطر يقوى ويضعف ويقل ويكثر الزرع والثمار والضرع على نسبته، إلا أن الناس واثقون في أقواتهم بالاحتكار، فإذا فقد الاحتكار عظم توقع الناس للمجاعات فقل الزرع وعجز عنه أولي الخصاصة فهلكوا، وكان بعض الاحتكار مفقود فشمل الناس الجوع[3].

ومن هذا النص يمكن أن نستخلص أن أسباب المجاعات تعود إلى سببين رئيسيين هما:

- أسباب بشرية: تتمثل في كثر الجنايات والضرائب وتدهور الوضع السياسي بسبب الحروب والفتن.

أما الأسباب الطبيعية، فهي ترتبط بالعامل المناخي ومدى تأثيره على الزرع.

وحتى تتضح لنا الصورة هذا الاستنتاج لابد من ربطه بالواقع المعاش في تلك الفترة كما يلي:

أ)- أسباب بشرية:

- الضرائب والجنايات: فقد عرفت الدولة الزيانية نظاما ضريبيا كان في كثير من جوانبه امتداد للنظام الضريبي الموحدي فشملت هذه الضرائب الحجر الزاوية بالنسبة للواردات المالية للدولة الزيانية ومن جملتها الزكاة وهي صدقات تجمعها الدولة من الأغنياء عينا ونقدا وتودع في بيت مال المسلمين، أما العشور فهي ضريبة الأرض والمستمدة من ضريبة الخارج.

- اعتماد الدولة الزيانية على جمع الجبايات من الجاليات غير المسلمة، فقد اعتمد السلطان عبد الواحد بن محمد بن تاشفين الزياني (827-814 هـ/ 1411-1424 م) على أعوان من اليهود لجباية الأموال أيضا وقبض الأعشار من التجار الأجانب المترددين على سواحل المغرب الأوسط، فاستغل اليهود هذه المكانة وتطاولوا على الرعية بشتى أنواع التعدي وأكل أموال الناس بالباطل وتوظيف ضرائب متنوعة.[4]

---

[1] _ نفسه ، ج3، ص 90.

[2] _ حليمة صراندي: المرجع السابق، ص168

[3] _ عبد الرحمان ابن خلدون: المقدمة، ص288.

[4] _ حليمة صراندي: المرجع السابق، ص169

- الفتن والحروب وقد تم الإشارة إليها في الجدول السابق.

ب) أسباب طبيعية:

- المناخ: عرف مناخ المغرب الأوسط قياسا كبيرا حيث نجد:

مناخ البحر الأبيض المتوسط يسود المناطق الشمالية الساحلية ويتميز بفصلين متباينين فيكون شتاؤه معطر وطويل، أما صيفه فهو حار وجاف، وتتسم طبيعة هذا المناخ بعدم الانتظام لذا يتجلى ذلك في زيادة نسبة الأمطار حتى يؤدي إلى حدوث الفيضانات أما في فصل الصيف فيحدث الجفاف في بعض الفترات[1].

مناخ الصحراء: يسود في المناطق الجنوبية ويحتل مساحة أكبر في الجزائر ويتميز بالحرارة والجفاف طوال السنة تقريبا[2].

بغض النظر عن الأسباب المؤدية إلى حدوث المجاعات، فهي تعتبر من أهم الأزمات التي تمر على البلاد وأكثرها شدة ووقع على المجتمع.

3- أهم المجاعات التي حدثت في تلمسان نوضحها في الجدول التالي: الجدول (3-4) أهم المجاعات الواقعة بتلمسان (حليمة صراندي: المرجع السابق، ص173 ص174)

الجملة الدالة على ذلك	المكان	سنة المجاعة
- تم وصلنا إلى مدينة تلمسان فوجدناها بلدا حلت به زمانه زمان وأخلت به الحوادث الحدثان فلم يبقى به علالة ولا تبصر في أرجائه بلالة.	تلمسان	688هـ/1284م
- " الحصار في إضافته بأهل تلمسان، وغلاء أسعارها وهلكت الناس بالجوع.	تلمسان	707هـ/698 م 1298/1307م
- قوم بأيديهم أرض بأوامر السلاطين المتقدمين ومن بعدهم يغتالونها بأنواع الاغتلال من الحرث وغيره إلى عالم المجاعة الكبرى.	المغرب الأوسط ككل	776 هـ-1374م
- سئل أيضا الوغيلسي: "عمن ألجأته الضرورة لسلف القمح والشعير والحاجة ألجأته في مسغبة وقعت بالجميع".	المغرب الأوسط ككل	/
- سئل عبد الرحمان الوغيلسي عن رجل أخذ دراهم من رجل مستغرق الذمة... وكان في سنة المجاعة.	المغرب الأوسط ككل	/
- وكان بتلمسان غلاء شديد ومجاعة	تلمسان	1438م-842هـ
- سئل سيدي المنصور الزواوي عن رجل باع مملوكه في سنة مسغبة.	المغرب الأوسط	09 -15 هـ
- وسئل شيخنا وسيدنا أبو الفضل العقباني عن رجل قام على آخر في دار فقال له: "المقدم عليه نعم ابتعهما منها في عام المسغبة".	المغرب الأوسط	/

[1]_ فرنان بروديل: المرجع السابق، ص63-64.

[2]_ حلمي عبد القادر علي: جغرافية الجزائر (طبيعية – بشرية – اقتصادية)، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، ط1، 1968، ص63-95

- وسئل شيخنا أبو الفضل العقباني عن رجل أصابته المسغبة فيما فرط من الزمان حتى أشرف على الهلاك.	المغرب الأوسط	/
- وسئل أيضا أبو الفضل العقباني عن شهادة السماع إذا شهد بها في مدة عشرين سنة كان الوباء والجوع المفرط.	المغرب الأوسط	/

ثانيا: الأوبئة: 1/ تعريف الوباء:

- **لغة:** يعرف الوباء بأنه كل "مرض عام" (يمد ويقصر)، وجمع المقصور أوباء، والجمع الممدود أوبئة، وقد وبئت الأرض توبا فهي موبوءة، فقد كثر مرضها وكذلك وبئت أوباء، والجمع الممدود أوبئة، وقد وبئت الأرض توبا فهي موبوءة، فقد كثر مرضها وكذلك وبئت توبا فهي أوبئة على فعلة[1]، ويطلق عل الوباء مرادفات أخرى كالفرق، فيقال إحذر الفرق في غنمك، وقيل الفرق هو العدوى، ويطلق على الوباء أيضا لفظ الموتان، وذلك على المجاز أن أصله في اللغة الموت[2].

- **اصطلاحا:** إن المصنفات الطبية الإسلامية في العصور الوسطى لا تكاد تخلو من ثقافة علمية حول الأمراض، فذكر إبن زهر "أن الناس قد اعتادوا إطلاق إسم الوباء على الأمراض التي تصيب أهل بلد وتشمل أكثرهم، خاصة وأن الناس جميعهم يشتركون في استعمال الهواء الذي يستنشقونه، فإذا كان الهواء فاسد عم المرض أهل ذلك الموضع أو عم أكثرهم"[3].

2/ أساب حدوث الأوبئة: بالرغم من الأوبئة والطواعين تندرج ضمن الآفات السماوية أو العاهات التي لابد للإنسان فيها، بل هي مقدرة من الخالق سبحانه وتعالى، لأن التأليف الطبية والتأليف التي كتبت عن الطب النبوي قد رصدت لنا جملة من الأسباب منها الطبية والمناخية منها ما يكون ناتج عن الحروب والمجاعات[4]، ويمكن تلخيص هذه الأسباب في النقاط التالية:

- فساد الهواء حيث يقول ابن خلدون "الوباء سببه في الغالب فساد الهواء لكثرة العمران لما يخالطه من العفن والرطوبات الفاسدة[5]، وعن فساد الهواء والأسباب المؤدية إلى ذلك ثمة أوردها العقباني والتي تدل على انعدام شروط النظافة في بعض مدن المغرب الأوسط خصوصا تلمسان، فقد كانت الطرقات تعج بالأزبال وجيف الحيوانات فضلا عن الرحاضات التي تخرج من القنوات وطين المطر المجتمعة في الشوارع، كما أن قيام بعض الحرفيين بأعمال داخل المدن كان يؤدي إلى تنجس الطرقات، ومثال ذلك ما كان يفعله الخرازون بتلمسان حيث كانوا يبسطون جلود البقرفي طريق المارة فيؤذونهم بذلك[6].

---

[1] _ إبن منظور: لسان العرب، حرف الواو، ص 189-190.

[2] _ نفسه، ص 280.

[3] _ أحمد سعداوي: المجاعات والأوبئة في تاريخ المغرب الإسلامي النتائج الديمغرافية، ص37.

[4] _ سمية مزدور: المجاعات والأوبئة في المغرب الأوسط 588- 927 هـ، 1432-1520م، مذكرة ماجيستار غير منشورة، قسنطينة، 2008-2009م، ص118.

[5] _ عبد الرحمان ابن خلدون: المقدمة، ص 288.

[6] _ العقباني: المصدر السابق، ص 263-267.

- إضطرابات المناخ وتغيير الفصول، لا تقتصر الانعكاسات السلبية لتغييرات المناخ على حدوث القحوط والفيضانات فقط، وإنما تسببت في حدوث الأوبئة الفتاكة التي هددت حياة الإنسان في العصور الوسطى وجعلته دائما عرضة لهذه الأمراض المفاجئة[1].
- الجماعات وغلاء الأسعار، فقد تحدث الأوبئة جرّاء المجاعات، ولكن في بعض الأحيان تكون مجاعات ولا تتبعها أوبئة، كالمجاعة التي ضربت تلمسان جرّاء الحصار (628 -707 هـ).

3/ أهم الأوبئة التي ظهرت في تلمسان:

لقد ذكر حسن الوزان أن الوباء يظهر في بلاد البربر على رأس كل عشر سنوات أو خمسة عشر أو خمسة وعشرون سنة[2]. يمكن أن نذكر أهم الأوبئة التي ظهرت في تلمسان من خلال الجدول التالي:

جدول (4-4) أهم الأوبئة التي وقعت في تلمسان:

النص الدال على الوباء	مكان الوقوع	سنة الوباء
ثم جاء الطاعون الجراف	المغرب الأوسط والعالم ككل	1347-750-748-1349-1348.
توفي إبن زاغو المغراوي بتلمسان يوم الخميس وقت العصر الرابع عشر ربيع الأول سنة 845 هـ-1441 م بالوباء.	تلمسان والمغرب ككل	1441 م-845 هـ
توفي إبن العباس بالطاعون آخر عام 871 هـ-1446 م ودفن بالعباد.	تلمسان	1446م-871 هـ
ظهر الوباء في أول ربيع منها 629-1519 م	تلمسان والمغرب	1519 م- 926 هـ
والغاية ما بلغ في اليوم أربعمائة نفس في آخر جماد منها، وذهب في آخر شعبان وكان إقباله من ناحية تلمسان.		

حليمة صراندي: المرجع السابق، ص177 ص178

[1] _ سمية مزدور: المرجع سابق، ص119-120.
[2] _ الحسن الوزان: المصدر السابق، ص 85.

إنه من الصعب تحديد جغرافية الوباء، فهناك أوبئة محلية تصيب بلاد المغرب الأوسط أو إحدى حواضره فلا خلاف فيها وهناك أوبئة عامة تصيب بلاد المغرب كله بل العالم بأسره، كما هو الحال بالنسبة لوباء 1348 م.

4/ أنواع الأوبئة التي عرفتها تلمسان نذكرها حسب الجدول التالي:

جدول (5-4) الأوبئة والأمراض في تلمسان والمغرب الأوسط وطرق علاجها

نوع المرض	بعض الأدوية والأغذية المفيدة له
الطاعون	تمسح حول دمل الطاعون بالتراب الأرميني
الجذام	اللبن مفيد جدا لمرض الجـذام
رمد العين	لرمد العين كان يؤخذ من أوراق القرع ويغسل ويهرس ويعصر ماؤه ويطبخ بنار هادئة حتى يصير مثل الرب يصفى بخرقة ويقطر في العين ويطلي به الرمد
الجرب والحكة	الترمس مفيد للجرب والحلبة أيضا مفيدة لداء الجرب الرطب

المصدر، سمية مزدور، مرجع سابق، ص 259-260.

ثالثا: نتائجهما

1- الاقتصادية:

فبمجرد حدوث وباء أو مجاعة داخل المجتمع حتى تشهد الأسعار ارتفاعا كبيرا، فتضعف القدرة الشرائية لدى السكان، من خلال الجدول التالي سنلاحظ الفرق بين الأسعار خلال فترات المجاعة والأوبئة والرخاء كما يلي:

جدول (6-4) أسعار السلع في فترات الرخاء والغلاء

المقدار	السعر أثناء الغلاء	السعر أثناء الرخاء
صاع من القمح	ديناران وربع 2.25	100/1 دينار = 0.01 دينار
مد واحد من القمح	10 دراهم	15/1 دينار أي 0.06 دينار
فقيز من القمح	8 دنانير	50 درهم = 5 دنانير
فقيز من الشعير	4 دنانير كبيرة	2.5 دينار = 25 درهم
5 أواقي من اللحم	1 دينار	0.31

المصدر: سمية مزدور، مرجع سابق، ص 191-197.

من خلال الجدول نلاحظ ارتفاع الأسعار في فترات الأوبئة والمجاعات على الخصوص القمح والشعير، ذلك لأهميته لدى السكان فهو ذات صدى استهلاكي واسع، كما نلاحظ ارتفاع أسعار اللحوم على أنواعها وهذا راجع لموت العديد من الحيوانات في هذه الفترات.

- انخفاض في أسعار العقارات، وهذا راجع لإهمام الناس لتأمين الغذاء في هذه الأوقات نتيجة ارتفاع أسعار السلع الغذائية، وأمام هذا الغلاء نلاحظ انخفاض سعر العقارات نظرا لانخفاض الطلب عليه[1].

[1] _ سمية مزدور: المرجع السابق، ص202.

وأيضا: - انخفاض قيمة العملة أوقات الكوارث، فعلى سبيل المثال كان الدينار الزياني يتراوح وزنه في هذه الفترات ما بين 4.48 غرام و4.58 غرام، أما الدرهم فقدر وزنه 1.5 غرام[1].

- نفاذ الأوقات أثناء الكوارث، وذلك بسبب زيادة الطلب.

- إفلاس الخزينة، حيث أصبحت الدولة غير قادرة على الإنفاق.

2- الاجتماعية:

نستهل هذه المظاهر بمحاولة رصد أوضاع بعض فئات المجتمع المغرب الأوسط الفقيرة زمن الكوارث كفئة المتسولين واللصوص، وهي تصنف ضمن الشرائح غير منتجة التي شكلت عبئا ثقيلا على السلطة التي وقفت عاجزة عن التكفل بها، فمستواها المعيشي جد متدني لأنها عاجزة عن توفير أدنى ضروريات الحياة من غذاء ولباس وحتى مسكن، ولم تكن هذه الفئة وليدة عصر أزمة الجوع وإنما هي نتاج التمايز الطبقي، فم حالة الفقر الدائم وأزمات الجوع المفاجئة لم تقوى هذه الفئة على تحمل ذلك فتستمر في نشاطها المعتاد بل ربما يزيد الجوع من حدة انتشارها.

امتهان كثير من الأعراب حرف اللصوصية وقطع الطريق على القوافل التجارية والمسافرين، لقد شاعت داخل المجتمع منذ أمد بعيد غير أنها تستفحل أوقات المجاعات[2].

وأيضا: - انتشار ظاهرة الهجرة، حيث تذكر إحدى المصادر هجرة بعض الأشخاص من تلمسان بسبب الوباء[3].

- ارتفاع عدد الوفيات، فقد خلفت هذه الكوارث الواقعة بتلمسان خسائر بشرية كبيرة، حوالي 120 ألف هالك أثناء الحصار المريني[4].

---

[1] نفسه: ص 204.

[2] صمية مزدور : المرجع السابق، ص 215.

[3] التنبكتي أحمد بابا : ت (963 هـ/1036) نيل الابتهاج بتطريز الديباج، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد القادر الهرامة، منشورات كلية دعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، 1989، ص 351.

[4] عبد العزيز الفيلالي: تلمسان في العهد الزياني، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2002 ، ص257.

الفصل الثالث
وسائل حل الأزمات

المبحث الأول: *وسائل مكافحة الفساد*

أولا: الإدارية

1_الدواوين

أ_ديوان الإنشاء

ب_ديوان العسكر

ج_ديوان الأشغال العامة

2_الإدارة المحلية

ثانيا:القضائية

1_القضاء لغة

2_شروط القاضي

3_وضائف القضاء

4_اهم القضاة

ثالثا:الأمنية

1_الحسبة

2_الشرطة

3_السجون

المبحث الثاني: الرعاية الإجتماعية والصحية

اولاً: الرعاية الإجتماعية والأوقاف

1_الرعاية الإجتماعية

2_الوقف (الحبس)

ثانياً:الرعاية الصحية

1_الأدوية والعلاج

2_أهم الأطباء

المبحث الأول: وسائل مكافحة الفساد.

بقيت الدولة الزيانية ما يفوق الثلا عام ونظرا لهيكلتها وقوة كيانها، فقد أنشأ الزيانيون إدارة حقيقية متماسكة لتنظيم حيا ـــس والدولة ضف إلى ذلك تأسيسهم لجهازي القضاء والشرطة كقوة أمن رادعة ضد الجرائم وحفظ النظام العام بالمدن وتنفيذ أحكام القاضي، أما لمواجهة الأمراض فقد أسس السلاطين الزيانيون أمثال السلطان أبي حمو موسى الثاني مستشفيات كثيرة وزودها بالوسائل المادية والبشرية كما درسوا الطب والعلوم والصيدلية

أولا: الإدارية.

1. **الدواوين :**

استند النظام الإداري العسكري في الدولة إلى دواوين، وبدأت قليلة العدة ثم توسعت وتعددت حسب الحاجة. [1]

كلمة الديوان كلمة فارسية معربة، معناها الدفتر أو السجل ومجتمع الصحف وأصله ديوان وهو الدفتر الذي يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء.[2]

وأطلق اسم الديوان إلى المكان أو الدائرة التي تحفظ فيها الأوراق والسجلات والديوان بالفارسية اسم الشياطين، وسمى الكتاب باسمهم لحذفهم في الأمور ووقوفهم على الجلي والخفي منها. [3]

ثم سمي مكان جلوسهم باسمهم فقيل ديوان، وهناك من يرى أن أصل الديوان عربية من كلمة دون، ولذلك بالنظر إلى اللفظ المقترن بديوان الشعر، فالدواوين هي الدوائر الرسمية التي تكون مهمتها القيام بالأعمال الإدارية، والأشراف على شؤون المال وهي تقابل الوزارات في الوقت الحاضر.[4]

أ - ديوان الإنشاء:

في دولة أبو حمو موسى الثاني العبد الوادية، وبما أنه لم يسبق لغيره من المؤرخين الإشارة لهذا الديوان باستثناء ما قيل عن الكتاب الإنشاء، فإن الأخذ بقول يحي له أهمية خاصة، وديوان الإنشاء والتوقيع هذا يمتاز بأهمية كبيرة في الدولة إذ يعتبر صاحبه الأقرب إلى السلطان بعد الوزير، وبالنسبة للبريد الذي لا يعرف الباحث عنه شئ في هذه الدولة، لأنه البريد له علاقات وطيدة مع ديوان الإنشاء في الدولة الإسلامية الأخرى أما الدولة العبد الوادية فيبقى الأمر دون تفسير.[5]

ب - ديوان العسكر:

تم اختيار هذه التسمية لكون صاحب هذا الديوان كان يسمى كاتب العسكر، هذا أدمج بعد يغمراسن ضمن دواوين أخرى، ووجود الكتاب الذين يختصون بتعداد أفراد الجيش، وتصنيف تخصصات العساكر والسند في ذلك ما أورده يحي ابن خلدون حين وصف العرض العسكري الذي نظم تحت رعاية السلطان. [6]

ج - **ديوان الأشغال العامة:**

تستوحي هذه التسمية من خلال ما ذكره يحي ابن خلدون عند تحديد تسمية صاحب الديوان، حيث أطلق عليه عبارة " الأشغال والعلامة، وكذلك عندما تعرض الفقيه أبي عبد الله محمد ابن أحمد فقال عنه: " اختاره مولانا أمير المسلمين أيده الله لكتب العلامة والإحاطة به، للشهادة على صندوق المال توسما فيه الثقة "، ولذلك تحتمل أن تكون التسمية الحقيقية لهذا الديوان لدولة بني عبد الواد هي ديوان " الأشغال والجابيات "، كما كان يسمى من قبل ديوان " الخراج والجابيات "، ومن مهمات هذا الديوان ما يلي:

1 - جمع الجابيات.

---

[1] _ محمد حسين الزبيدي : صالح صادق السباني ، الدولة الأموية،الجامعة المفتوحة،طرابلس،ط1،2002م، ص 180

[2] _ إبن منظور : المصدر السابق ، ص 166 .

[3] _ محمد محاسنة : الحضارة الإسلامية ، مركز بريد للنشر ، اليرموك ، جامعة مؤتة ، عمان ، ط 1 ، 1446 - 2005 - ص119 .

[4] _ على بن محمد الماوردي: الاحكام السلطانية و الولايات الدينية، مكتبة مصطفى بابي الحلبي، القاهرة ،1960م ، ص 249 .

[5] _ بوزياني دراجي: المرجع السابق، ص 38.

[6] _ نفسه، ص 180.

2 ـ محاسبة عمال الدولة.
3 ـ الإشراف على صندوق المال أو بيت المال.[1]

2- **الإدارة المحلية:**

يمكن القول أن الأشكال الإدارية للدولة العبد الوادية في عهد يغمراسن انحصرت في:

- **المدن والأمصار:**

كانت المدينة في عهد العاهل التلمساني تشكل وحدة إدارية محلية أساسية، ومن المدن التي كانت خاضعة لسلطته، نذكر وهران، وندرومة وهنين، ووجدة، ومستغانم، ومليانة، وتنس، بالإضافة إلى سجلماسة التي كانت ضمن دولته لفترة زمنية معينة، ثم انتزعها بنو مرين ومن بين أسماء قادة المدن الذين عينهم يغمراسن بن زيان فإن المصادر التاريخية قد أشارت إلى البعض، ولم تذكر أسماء الولاة الآخرين ومن بين الشخصيات التي وردت في هذه المصادر نذكر:

مدينة مستغانم: وقد تولى أمرها يحي بن مكمن[2]

مدينة مليانة: عين عليها شخص يدعى عمر بن منديل.[3]

مدينة سجلماسة: ملى عليها ابنه يحي، ثم بعد ذلك عبد الملك بن محمد بن علي بن درع (ابن حنينة أخت يغمراسن)، ويغمراسن بن حمامة.[4]

بعد أن استطاع العاهل التلمساني إدخال هاته المدن تحت إدارة سلطته قام بتعيين ولاة أو عمال يستمدون سلطانهم منه ويتبعونه، يطلق على الواحد منهم اسم القائد، وكان اختيارهم يتم بنفس المقاييس التي تبناها بنو مرين فيما بعد، إذ كان المقياس الأساسي في الاختيار غالبا هو مقياس القربى، في هذا الصدد يقول بن خلدون:" كان يغمراسن بن زيان كثيرا ما يستعمل قرابته في الممالك ويوليهم على العملات.... ". [5]

ثانيا:القضائية.

1_ القضاء:

أ_ **لغة:** هو الحكم والقاضي لأمر للتداعي وقطعا للتنازل، أو الأخبار عن الحكم الشرعي على سبيل الإلزام. [6]

ب_ **اصطلاحا: أما مفهوم المظالم في القضاء السياسي:** ورد في المعجم الوسيط عادة الظلم من السواد، فأظلم الليل أسود ومنه أظلم البحر والشعر، وأظلم فلان علينا البيت أسمعنا ما

---

[1] _ يحي بن خلدون: المصدر السابق، ص 38.
[2] _ خالد بلعربي: المرجع السابق،ص85
[3] _ نفسه،ص85
[4] _ نفسه،ص85
[5] _ نفسه،ص88
[6] _ إبراهيم أنيس ورفاقه : المعجم الوسيط،دار المعارف المصرية،اعداد و اصدار مجمع اللغة العربية المصرية ،ج 2، ص 277 .

نذكره وتظلم القوم أي: ظلم بعضهم بعضا، وفي اللهجات الشائعة أتظلم أي أظلم بشدة على الغلاء، والظلماء ذهاب النور وظلمات البحر شدائد، والمظلمة الظلامة جمعها مظالم. [1]

أما فقهاء المظالم: هو القضاء المختص في رفع الظلم عن الناس إذا وقع من الظالم أذى بأسس كالدولة، ومن يمثلونهم بجهاز الحكم كالخليفة والوزراء والولاة وقادة الجيش والقضاة والشرطة، وكل من هو محسوب على الجاه أو مدعوم من السلطة، والمعنى اللغوي هنا ليس هو الذي يحدد القصد ولاية المظالم. [2]

-شروط القاضي:

- الذكورة.
- البلوغ.
- العقل.
- الحرية.
- الإسلام.
- العدالة.
- السلامة في السمع والبصر.
- العلم بالأحكام الشرعية.

بالإضافة إلى:

- العفة.
- الشرف.
- الصحة.
- التعبير.
- والفطنة. [3]

بسبب انشغال الأمراء الزيانيين بالسياسة فإنهم مثل الأمراء السابقين في دار الإسلام، فوضعوا القضاء وعينوا في عدة أقاليم القضاة، ويبدوا أن سلطة القاضي في الدولة الزيانية لم تقتصر على أعمال قضائية الصرفة وحدها، وإنما امتدت أيضا إلى أمور دينية ليس لها علاقة بالقضاء ولكن ضمت إلى نظر القاضي بسبب معرفته لشرع الإسلامي، وأصبحت مقررة في سلطته على حسب ما عرف " بالعرف والاصطلاح"، فكانت أعماله الإضافية تتكون غالبا من الصلاة والخطابة في المساجد، والإشراف على الأماكن الدينية على أموال الغائبين والمفقودين وعلى الذهب والفضة والمكاييل، وولاية الحج وأخذ البيعة للخليفة ومصاحبته الجيش في الحروب. [4]

ويبدو أن المكان الذي يجتمع فيه القاضي بالخصوم كان يعرف باسم " مجلس الحكم"، وحيث أن المساجد وقتئذ لم تكن تقتصر على أداء الصلاة فحسب، وإنما أيضا كانت مكان للفصل في أمور الناس، أو تعليمهم أو حتى تصريف الأمور التجارية.[5]

---

[1] _ محمود الخالدي : الإسلام وأصول الحكم ، عالم الكتب الحديث ، اليرموك ، 142 - 2005 ، ص 426 .

[2] _ نفسه ، ص 427 .

[3] _ محمد عبد المنعم الجمل: الحضارة الإسلامية ،دار المعارف الجامعية،الأسكندرية،2003، ص 43.

[4] _ رشيد بوروبية و موسى لقبال: عبد الحميد الحاجيات، الجزائر في تاريخ العهد الإسلامي منذ الفتح الى بداية العهد العثماني،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر 1984، ص 469 .

[5] _ نفسه ،ص 470 .

وعلى ذلك فإن صلاحيات محكمة المظالم عشرة أقسام في كتاب الماوردي:
القسم الأول: النظر في التعدي الولاة على الرعية، وأخذهم بالسعف في السيرة فيتفحص أحوالهم فيكفهم إن عسفوا ويستبدلهم إن لم ينصفوا.
القسم الثاني: جور العمال في ما يحبونه من الأموال. [1]
القسم الثالث: تفحص أحوال كتاب الدواوين.
القسم الرابع: تظالم المرتزقة من نقص أرزاقهم من ديوان العطاء.
القسم الخامس: رد الغصوب السلطانية التي تغلب عليها ولاة الجور وذوي الأيدي القوية.
القسم السادس: مشارفة الوقت العام والخاص.
القسم السابع: تنفيذ ما عجز عنه القضاة من الأحكام ليست للمحكوم عليه، أو القوة بيده أو لعلو قدره وعظم خطره.
القسم الثامن: النظر بما عجز القضاة الحسبة في مصالح العامة.
القسم التاسع: مراعاة العبادات الظاهرة كالجمعة والحج والجهاد. [2]
القسم العاشر: النظر بين المتشاجرين والحكم بين المتنازعين، وإذا ما فكرنا تفكيرا مستنيرا فيمكن أن يتولى صلاحية حسن القضاة محكمة المظالم لا نجد إلا أن يكون اختصاصه النظر في عزل القضاة محكمة المظالم. [3]
ينتقي القضاة من بين الفقهاء ذوي المكانة واليد الطولي في العلوم الشرعية. [4]
هذا ما يثبته قول أبي حمو موسى الثاني في وصيته لولي عهده: " يا بني وإما قضائك فيجب عليك أن تتخذ قاضيا من فقهائك أفضلهم في متانة الدين، وأرغمهم في مصالح المسلمين لا تأخذك في الحق لومة لائم، وليسمع بضلامة ظالم ولا يغتر برشا ولا يتعلق دوله منه برشا، يساوي بين الشريف والمشروف والقوي والضعيف، إنما يتقيد بالأحكام، مفرقا بين الحلال والحرام قاضيا بالعدل أخذا بالفضل موجزا في الفصل ". [5]

ويستعين والي المظالم بهيئة المساعدين والأعوان والمستشارين والقضاة العدول ويعرفها ابن خلدون: " هي وظيفة دينية ممتزجة من سطوة السلطنة ونصفه القضاء وتحتاج إلى رهبة تقمع الظالم من الخصمين وتزجر المعتدي وكأنه يمضي ما عجز عنه القضاء «.[6]

تعتبر خطة المظالم أو الولاية المظالم كما تسمى أيضا، من الخطط المكملة للقضاء والمظالم وقد يكون من أفراد المجتمع، أو قد يكون من الولاة وعمال دولة وكبار موظفيها، وهي أشبه ما تكون بمحكمة الاستئناف والقضاء الإداري والاستثنائي في الوقت الحاضر. [7]

- وظائف القضاة:

أما مهام القضاة في دولة بني عبد الواد فإنها لا تختلف كثيرا عن مهام القضاة، في بقية الدول الإسلامية عامة ودول المغرب الإسلامي، ومع هذا فإن صلاحيات القاضي العبد الوادي واسعة كما كان عليه الحال بالنسبة لقضاة الدول المغربية الأخرى، ومما يدل على أن

---

[1] الماوردي : المصدر السابق ، ص 118 .
[2] الماوردي : المصدر السابق ، ص 119
[3] محمود الخالدي : المرجع السابق ، ص 405 .
[4] بوزياني دراجي : المرجع السابق ، ص 249 .
[5] أبو حمو موسى بن زيان : واسطة السلوك في سياسة الملوك ، المطبعة الوطنية التونسية، ص 62 - 69 .
[6] عبد الرحمان ابن خلدون : المقدمة ، ص 575 ص 576 .
[7] عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ،ج 2 ، ص 232 .

للقاضي حدود يقف عندها قول أبي حمو، حين شرح دور السلطان في مجلس المظالم فقال: " فمن كان له حق من الحقوق الشرعية رددت أمره إلى قاضي البلد ليفصل بالقضية، ومن كان من غير ذلك من الأحكام التي لا يقضي فيها أحد سوى إمام فصلته بما يقتضي نظرك السديد ورأيك المصيب الرشيد ". [1]

أشهر القضاة :

أوردت المصادر بعض أسماء القضاة في عهد يغمراسن بن زيان ويمكن حصر أصنافهم ضمن التقسيمات التالية:

قاضي الجماعة:

وهو يعني قاضي القضاة بالمشرق،و كان بمثابة الرئيس الأعلى للقضاة اليوم، وهو أعلى منصب قضائي واجل مرتبة قضائية، وكان قاضي الجماعة عند بني عبد الواد يعين من قبل السلطان، بعدما يبحث عن القاضي الكفء والقدير والمؤهل علميا وإداريا.

تنحصر وظيفة قاضي الجماعة النظر في الدعاوي والخصومات والفصل في المنازعات في جميع القضايا الشرعية في مركز الدولة وحاضرتها ولذلك فان الأحكام التي كانت تصدر عنه تكتسي أهمية بالغة، لأنها تعتبر شبه ملزمة لجميع القضاة في المدن والقرى.

وممن تولى منصب القاضي الجماعة في عهد يغمراسن بن زيان عبدون الحباك (671ه//1272م) والذي سبق الحديث عن ذكره في من تقلدوا وظيفة الحجابة.

قاضي الحضرة:

يشغل قاضي الحضرة منصب الموثق في القصر الملكي، ويتم تعيينه من قبل السلطان نفسه بمشورة قاضي الجماعة، ويعد قاضي الحضرة نائب لقاضي الجماعة، ويلقب بقاضي تلمسان.[2]

ومن أعظم قضاة الحضرة في عهد يغمراسن نذكر ما يلي:

1- أبو عبد الله بن مروان:

هو أبو عبد الله محمد بن علي بن مروان بن جميل الهمداني، وهراني الأصل تلمساني النشأة.

كان فقيها، لها دراية بالمسائل، جميل الخط، ولي القضاء تلمسان، ثم استقدم المنصور لقضاء الجماعة بمراكش عند حركته إلى قفصه، وكان عادلا في إحكامه، فقيل عنه انه: لم يجلد أحدا بسوط أيام قضائه، مع كونه شديد الهيبة.

2- أبو علي بن مروان :

كان فقيها حافظا للمسائل الفقهية ،محققا نظارا، ولي قضاة تلمسان، سبتة وغرناطة، ومورسية وتوفي بها.

3- أبو مهدي عيسى بن عبد العزيز بن رحمون:

كان فقيها فأتقن مختلف العلوم حفظا وفهما، ولي قضاء تلمسان وبها توفي.

4- أبو الحسن علي اللجام:

كان فقيها وعالما بالعلوم ولي قضاء تلمسان.[3]

5- أبو عبد الله محمد المدكالي :

---

[1] _ أبو حمو موسى الثاني: المصدر السابق ، ص 85 .

[2] _ خالد بلعربي: المرجع السابق، ص161

[3] _ نفسه، ص163.

من قضاة حاضر وتلمسان.

6- إبراهيم علي بن يحي :
فقيه وقاضي تلمسان.

قاضي العملات :

ينوب عن قاضي الجماعة بالمدن التابعة للدولة العبد الوادية وكان قاضي العمالات يعتبر من الموظفين الرئيسيين في كل عمالة، إلى جانب القائد، في حين كان لا يتجاوز اختصاصه حدود همالته. ومن تولى منصب قاضي العمالات في عهد يغمراسن، عبد العزيز بن عمر بن مخلوف المتوفى سن (686ه/1280م)، يكنى بابي فارس، محدث من فقهاء المالكية من أهل تلمسان، اخذ من شيوخها وعلماء بجاية، ولي القضاة في عدة عمالات.

تتلمذ على يديه الفقيه والأديب أبو العباس احمد بن احمد الغبريني (ت 704ه/1304م) صاحب عنوان الدراية، وقال الغبريني فيه "كان فصيح اللسان والعبارة، حسن الإشارة، له عكوف على التدريس، دءوب عليه ،تخرج على يديه مجموعة من الأئمة وانتفعوا به".[1]

قاضي الانكحة :

وهو اختصاص قضائي بعقود النكاح وما يتفرع عنها وورد في كتال مملكة عبد الواد -عرضا- عبارة يستهل منها وجود قاضي الانكحة في الدولة العبد الوادية ،تماما كما هو الشان بالنسبة للدولة الحفصية، وكان قاضي الانكحة يشرف على عقد الحطوبة، وكان يحرص على ان يتم ذلك طبقا للكتاب والسنة

ومما يدعو للغرابة ،ان تصمت المصادر الزيانية عن اعطائنا اسماء كل القضاة في عهد يغمراسن بل في كل الدولة العبد الوادية ،عكس ماهو الامر بالنسبة للحفصيين والمرنيين.[2]

قاضي الاهلة :

هو الذي ينظر في ظهور الهلال الجديد ،وذلك لمل يترتب على التماس الهلال ورؤيته من احكام شرعية كبدء الشهر للاستحقاق والالتزام والنذور والعبادات فتاصبح هذا الواجب من مهام القضاة.

وفي المغرب الاسلامي ثمة اشارة للدكتور عطاء الله دهينة الى وجود قاضي الاهلة في دولة بني عبد الواد.

ويبقى هذا الموضوع يكتنفه الغموض بسبب صمت المصادر الزيانية عن تزويدنا بذلك ونامل معرفة ذلك مستقبلا.[3]

ثالثا :الامنية.

1- الحسبة

لغة : تعني الكرم والشرف الثابت في الأباء وحسب الدين وحسب مقدار الشئ وحسبك كفاك وحسب الشئ عده، والإحتساب والحسبة حسن التدبير والمسارعة إلى طلب الأجر [1].

---

[1] _ خالد بلعربي: المرجع السابق، ص163.
[2] - نفسه، ص164
[3] _ خالد بلعربي: المرجع السابق،ص164

أما إصطلاحا : هي الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله . [2]
وهي وضيفة دينية ظهرت في العصر الإسلامي تضمنت قيام صاحبها بمراقبة الأسواق، وكل ما يجري فيها بما في ذلك سلوك الإنسان ومعاملاته . [3]
قال تعالى : " ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون " . [4]
قال إبن خلدون : " هي وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي هو فريضة على من يتولى أمور المسلمين، ويعين لذلك من يراه أهلا لها فيتعين فرضه عليه، ويتخذ أحوال على ذلك من يراه ويبحث عن المذكرات ويعزر ويؤدب على قدرها، ويحمل الناس على المصالح العامة المدنية " . [5]
وصاحب السوق كان يعرف بصاحب الحسبة، لأن أكثر نظره إنما كان يجري في الأسواق والخديعة ودين وتفقد مكيال وميزان وشبهة، وقال بن سهل ـ رحمه الله ـ وقد سألت عن صاحب السوق هل يجوز له أن يحكم في عيوب الدور وشبهها وأن يخاطب حكام البلاد في الأحكام، فقال ليس له ذلك أن يجعل له ذلك في تقديمه، والحسبة تشابه ولاية المظالم من وجهتين، وتخالفهما في وجهتين فتشابههما في الرهبة وجواز تعرض للإضطلاع، وتخالفهما أن موضع ولاية المظالم لم
عجز عنه القضاة والحسبة لما نزه عنه القضاة فرتبة المظالم أعلى، ولوالي المظالم أن يرفع للقضاة

أ. وظائف المحتسب:

والمحتسبة والمحتسب لا يرفع لأحدهما منها، ويجوز لوالي المظالم أن يحكم وليس للمحتسب أن يحكم . [6]
ـ ومن بين المصالح العامة المدنية التي يجب على المحتسب أن يتولاها هي كالتالي:
1 ـ منع الحاملين وأهل السفن من الإكثار في الحمل .
2 ـ الحكم على أهل المباني المتداعية بالسقوط بهدمها وإزالة ما يتوقع من ضرر على السابلة .
3 ـ الضرب على أيدي العاملين في المكاتب وغيرها في الإبلاغ في ضربهم للصبية المتعلمين، وهكذا نرى أن مهام المحتسب أمور تتعلق بالرقابة والآداب العامة والرفق بالإنسان للحيوان، مما يدخل في إختصاص أجهزة الرقابة . [7]
4 ـ فحص المقاييس والموازين الموجودة في الأسواق، وإصلاح الخلل بها ومعاقبة المخالفين .
5 ـ مراقبة أسعار الحاجيات وضبطها لتوفير الموارد الضرورية والحفاظ على الإستقرار.
6 ـ مراقبة إصلاح البيوت وبنائها لإزالة المتداعي منها، ومنع الإعتداء الطرقات .

---

[1] إبن منظور : المصدر السابق ، ج 1 ، ص 310-314 .
[2] الماوردي : المصدر السابق ، ص 294 .
[3] محمد محاسنة : الحضارة الإسلامية،مركز يزيد للنشر،جامعة مؤتة،عمان،ط1426،1ه،2008م، ص 124 .
[4] سورة آل عمران ك الآية 104 .
[5] عبد الرحمان إبن خلدون : المقدمة ، ص 205 .
[6] الونشريسي احمد بن يحيا الونشريسي : الولايات و مناصب الحكومة و الخطط الشرعية نشر و تعليق محمد امين بالغيث ولافوميك1994 ، ص 28 - 29 .
[7] عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة ، ص 205 .

7 ـ مراقبة الأطباء والمدارس، ومنع المعلمين من ضرب الصبيان ضربا مبرحا.
8 ـ تنظيف الشوارع، وتوزيع المياه ومنع الأعمال الزائدة .
9 ـ مراقبة إقامة الشعائر والعبادات، كالصلاة والصيام . [1]
ـ شروط المحتسب : إشترطوا توفر صفات حميدة في شخصية المحتسب، مثل العفة، والرفق واللين في القول والمواظبة على سنن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ، أما الشروط العامة المتفق عليها فهي كثيرة يمكن إجمالها فيما يلي :
1 ـ مسلما : إذا لا ولاية لكافر على مسلم .
2 ـ حرا لا عبدا مملوكا .
3 ـ بالغا قادرا، إذ تنضبط الأمور للصبي بعجزه العقلي الجسماني كاملا، يستطيع العاجز القيام بمثل هذه الوظيفة .
4 ـ عادلا : وهو من أهم الشروط التي ركز على توفرها على المحتسب .
5 ـ عالما : والقصد به العلم بأحكام الشريعة الإسلامية، وهو من أهم الشروط أيضا.
6 ـ ورعا : وهي من صفات آداب المحتسب، لأن الورع يلطف من حدة الإسراف في الإحتساب، وتطرق فيه زيادة على الحد المطلوب شرعا .
7 ـ مكلفا : أي منصبا من قبل المسؤول الأعلى، وهو الخليفة أو الإمام أو الوالي في الأقاليم والولايات، هذا شرط تميز له عن المحتسب المتطوع الذي يقوم بالخدمة الإجتماعية إحتسابا لله وطلبا للأجر والثواب . [2]

ب. **الحسبة عن الزيانيين :**

رغم صمت النصوص التاريخية فإنه لا يستبعد وجود خطة الحسبة، لدولة بني عبد الواد في عهودها الأولى خاصة وأن أبو حمو الثاني أشار إليها في كتابه إشارة السلوك، دون أن يتعوض إليها بالشرح كما جرى عليه الحال بالنسبة للمرات الخطط الأخرى، كان يسمى في دولة بني عبد الواد " بصاحب الحسبة" . [3]

وفي هذا يقول أبو حمو لولي عهده، بأن يستعمل فراسته في قراءة منطويات المحتسب في قوله : " وهكذا تكون يا بني فراستك في صاحب الحسبة تجريحا لإمتحانه بمثل هذه النسبة إلى أن تعرف أحواله وما صار إليه مآله " . [4]

أما الفترة الأخيرة من حياة الدولة، فإن خطة الحسبة وبها كانت موجودة بدون شك خاصة وأن محمد بن أحمد العقاني مؤلف الكتاب المذكور في الحسبة كان قاضيا في مدينة تلمسان، ولما كانت الموازين والمكايل من أهم إختصاصات صاحب الحسبة في كامل الأقطار الإسلامية، فإنه يستحسن هنا إثبات بعض الأسباب الخاصة بالمكايل والموازين في دولة بني عبد الواد آنئذ . [5]

وذكر عبد الرحمن بن خلدون عند حديثه عن حصار تلمسان، بعض المكايل والميازين المستعملة في حضرة الدولة العبد الوادية أنئذ ومنها :

---

[1] _ بشار قويدر : دراسات في النظم الإسلامية ،المطبعة الجزائرية للمجلات و الجرائد،منشورات حلب ،الجزائر، ص 111 .

[2] _ نفسه ، ص 114 .
[3] _ بوزياني دراجي: المرجع السابق ، ص 246 .
[4] _ أبو حمو موسى الثاني: المصدر السابق ، ص 153 .
[5] _ نفسه ، ص 246 .

البرشالة : ويقول عبد الرحمن بأن قيمتها تعادل " أثنى عشر رطلا ونصف " .[1]
غير أن أخاه يحي يقول بأن مقدار البرشالة هو " ثلاثة عشر رطلا " .
الرطل : ذكر يحي بن خلدون بأن المد الكبير يساوي ستين برشالة، والبرشالة ثلاثة عشر رطلا .
المد الكبير : ومقداره ستون برشالة أو سبعمئة وثمانون رطلا .[2]

وكان المحتسب يتولى مراقبة الأسواق في غالب الأحيان بنفسه، أو يتخذ أعوان له وإذا كلف أحدهم بمهمة قصد المبيعات والمصنوعات، فأنه لا يكلفه بصفة دائمة إنما يقوم بإستبداله من حين إلى أخر، لما حدث بينهم وبين التاجر أو الصانع إتفاق، وكان المحتسب يتجول على دابته محاطا بأقواله يحمل معه ميزانه الذي يزن به البضائع التي يشك في وزنها، وإذا إرتاب في دكان أو مصنع يبعث له صبيا أو جارية للشراء منه، ثم يختبر مع المشتري فإذا وجد به غشا تعرض لصاحب الدكان أو المصنع بالعقوبة المنصوص عليها.[3]

2- الشرطة :

ـ لغة : الشرطة من الشرط والشرط العلامة والشرط الساعة أعلامها، ورجل الشرطي منسوب إلى الشرطة .[4]

ـ إصطلاحا : هي وظيفة مهمتها إستدباب الأمن وحفظ النظام، والضرب على أيدي الخارجين على القانون والأعراف والعامة أو الإعتداء على الناس، وكان من واجباتها الرئيسية تنفيذ أوامر الخليفة أو الأمير، وتنفيذ أحكام القضاء ومطاردة الجناة والمفسدين.[5]
بذلك تكون في خدمة القضاء وتحت نظره، ولكنهم أفردوها عن القضاء فيما بعد لحاجة الحكام إلى ذلك، لما للقضاء من قيود شرعية تحد من مرونة صاحب الشرطة.
وأصبحت بعد ذلك مرؤوسة لصاحب السيف .[6]

أ ـ شروط صاحب الشرطة :

لقد وضع الخلفاء والأمراء بعض الصفات والمواهب الواجب توفرها في صاحب الشرطة، فمثلا الحجاج ين يوسف الثقفي والي العراق أراد أن يعين صاحب الشرطة له، فطلب من الناس أن يدلوه على رجل تتوفر فيه صفات التي تؤهله لهذا المنصب وقال : " دلوني على رجل شرطة، فقيل : أي الرجال تريد ؟، فقال : أريده دائم العبوس طويل الجلوس، سليم الأمانة أجف الخيانة، لا يحنق في الحق على الجرة، يهون عليه سبال الإشراف في الشفاعة، فقيل : عليك بعبد الرحمن بن عبيد التميمي "، فأرسل إليه يستعمله، فقال له : " لست أقبلها لا تكفيني عيالك وولدك وحاشيتك"، وقال : " يا غلام تاه الناس من طلب إليه حاجة فقد برئت منه الذمة " .[7]

ب ـ الشرطة في عهد الزيانيين :

---

[1] _ عبد الرحمن بن خلدون: المصدر السابق ، ج 7 ، ص 198 .
[2] _ يحي بن خلدون : المصدر السابق ، ص 19 .
[3] _ عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ص 227 - 228 .
[4] _ إبن منظور : المصدر السابق، ج 7 ، ص 327 - 330 .
[5] _ محمد حسن الزبيدي : صالح صادق السباني ، المرجع السابق ، ص 141 .
[6] _ عبد الرحمن بن خلدون : المقدمة ، ص 572 - 573 .
[7] _ السيوطي (جلال الدين) : تاريخ الخلفاء وأمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ، ط 1 ، 1351 ، 1902 ، ص 191 .

لقد أضيفت إليها سلطات قضائية تختلف عن السلطة صاحب المظالم، ولهذا نجد صلاحيات هذه الخطة تتداخل في بعض الأحيان مع صلاحيات المظالم، ولعل هذا هو السبب الذي يجعل الدولة الزيانية تسند هاتين الخطتين لشخص واحد، كانت الشرطة في الأساس من الوظائف الشرعية الدينية كالحسبة والمظالم، ثم توسعت قليلا إلى أن صار صاحبها ينظر في الجرائم .[1]

في العهد الزياني تعذر علينا معرفة الفترة الزمنية التي نشأت فيها هذه الخطة والأعمال، وإستخدموها في مكافحة الجريمة وإقامة الحدود، وأعطوها عناية كبيرة ولتداخل مهام الشرطة مع المظالم فقد قلد بنو زيان هاتين الوظيفتين لشخص واحد وهو الفقيه العام أبو العباس أحمد المعروف بإبن الفحام ،[2] وفي موضوع الشرطة قال بن الأمين القرطبي : " وضع صاحبها لشيئين أحدهما معونة الحكام من أصحاب المظالم، وأصحاب الدواوين في حبس من أموره بحبسه وإطلاقه، وأشخاص من كاتبوه بأشخاص وإخراج الأيدي مما دخلت فيه وإقرارها الثاني النظر في الجنايات وإقامة الحدود على من وجبت إقامتها عليه".[3]

تعرض السلطان أبو حمو موسى الثاني في كتابه " واسطة السلوك "، لموضوع الشرطة وصاحبها الذي كان يسمى وقتذاك " بالحاكم " .[4]

ويمكن أن نتعرف على مهام " الحاكم " أو أصحاب الشرطة بدولة الزيانين، من خلال تلك الوصايا التي قدمها أبو حمو لولي عهده، فيقول له فيها : " ثم يدخل صاحب شرطتك وحاكم بلدتك حضرتك، ليخبرك بما يريد في ليلتك حتى لا يخفى عليك شئ من أحوال رعيتك وبلدك مع ضبط مملكتك، فتسأله عن القليل والكثير والجليل من الأمور والحقير، لئلا يتوصل أهل العناية للرعية بمضرة ولا أذية، ولا يقع من الحكام جور في البلد، ولا ظلم لأحد، فإنه إذا علم الحاكم أو غيره ممن أهل العنايات وأهل الدعاوى والجنايات، بأن الملك لا يغيب عنه شئ من أحوال بلده، فيمتنع كل منهم من إستطالة يده، فيقف الناس عند حدودهم ويؤمنون من الجور في صدورهم ووردهم، وفي هذا البقاء لنظام الملك وأمان للرعية من الهلاك .[5]

في موضوع أخر من كتابه طلب أبو حمو من ولده بأن يتفرس في الحاكم وينظر في حاله، فإن كان محبوبا من الأخيار فمعناه أنه مستقيم الحال سليم السلوك، ثم ينصح ولي عهده بأن يتابع حال الحاكم " صاحب الشرطة "، فأن رأى بأنه قد ظهرت عليه علامات الغنى وزادت ثروته عن حدها، عندئذ يعرف بأنه يأخذ الرشوة يستغل سلطاته لمآربه الشخصية .[6]

مع ذلك لم يوافق أبو حمو نفسه في فراسته لصاحب شرطته موسى بن يخلف، حيث خانه في أخر الأمر، وكان السبب المباشر في الفتنة التي حدثت بينه وبين ولي عهده [7] ،كما تسبب في قتل كاتب سره يحي إبن خلدون، وأشار عبد الرحمن بن خلدون إلى صاحب شرطة أبي حمو عندما تحدث عن مقتل أخيه يحي، فقال : " كان في الدولة لئيم من سفلة

---

[1] _ عبد العزيز فيلالي : المرجع السابق ، ص 233- 234 .
[2] _ نفسه ، ص 234 .
[3] _ أحمد بن يحي الونشريسي : المصدر السابق ، ص 26 .
[4] _ رشيد بوروبية وأخرون : المرجع السابق ، ص 169 .
[5] _ أبو حمو موسى الثاني: المصدر السابق ، ص 36 .
[6] _ بوزيان دراجي : المرجع السابق ، ص 249 .
[7] _ نفسه ، ص 249 .

الشرطة يدعى موسى بن خلف، وكان هو أيضا يخص بإبن خلدون وكاتب السلطان، وترصده منصرفا من القصر إلى بيته مع التراويح، وفي رهط من الأوغاد كان يطوف بهم في سلك المدينة، ويطوف بهم بيوت أهل السر والحشمة في سبيل الفساد فعرضوا له وطعنوه بالخناجر حتى سقط عن دابته ميتا " .[1]

كانت نهاية هذا الحاكم أن أبا حمو قتل صاحب شرطته موسى بن يخلف أشنع قتلة .[2]

3- **السجون:**

ويبدو ان بني زيان شيدوا عدة سجون حسب،انواع السجناء وطبائقهم،و ربما كان للمجرمين سجن خاص بهم، وللمعتقلين السياسين والرهائن سجنهم، وللاسرى النصارى الذين كانوا يعدون بالالاف سجنهم ،لان النصوص الزيانية تشير الى وجود عدة سجون في مدينة تلمسان، واحد من سوق السراجين، والثاني بالقصبة، والثالث بدويرة بقصر المشور وغيرها.[3]

المبحث الثاني: الرعاية الاجتماعية والصحية

[1] _عبد الرحمن بن خلدون : العبر ، ج 7 ، ص 292 – 293 .
[2] _بوزياني دراجي: المرجع السابق ، ص 250 .
[3] _ عبد العزيز فيلالي: المرجع نفسه ص234

مرت تلمسان بأوضاع عصيبة، أضعفت السلطان وهددت أمن البلاد، وعلى الرغم من الفوضى السياسية التي كانت تعيشها فإن أهلها كانوا متكافلين .

أولاً: الرعاية الاجتماعية والوقف

1- الرعايا الاجتماعية :

فقد أمدنا المازوني بصور حول الرعاية الاجتماعية التي كانت تقدم للفقراء والمساكين واليتامى في تلمسان، حيث أورد في أحل المسائل قائلا : " هل يرخص لمن وجبت عليه الزكاة قبل يوم عاشوراء في تأخير إخراجها إليه إذا كان موسما للمساكين يبرزون فيه ويلحون في الطلب ولا يعذرون من لا يعطيهم فيه قياسا على لزوم تأخير الزكاة عن حلول حولها قبل مجئ السعادة إلى مجيئهم والسعادة أحد مستحقيها " [2].

وجود موسم خاص بالفقراء يعد هذا قمة التكافل الاجتماعي، فقد جرت العادة في تلمسان الاحتفال بيوم عاشوراء وجعلوا في هذا اليوم نصيب للفقراء، فكانت الزكاة تعطى في ذلك اليوم، وجاء في نازلة أخرى: " أن فقير سافر لأجل الحاجة التي لحقته وعليه دين كثير ولم يخلف لزوجته شيئا ولا يعرف أحد هل هو حي أو ميت فلحق الزوجة من ذلك الضرر كثيرا، هي يعطي لها زكاة أم لا، ولم يكن ترك كفيلا فأجاب يعطي لها إذا كانت على الحالة المذكورة "[1]

لم تقف الرعاية الإجتماعية على إعطاء الزكاة للفقراء، بل شملت جوانب أخرى كتوفير العيش الكريم لليتامى وتعيين الأوصياء على أموالهم، حيث ذكر المازوني أن : " رجل موصي على اليتيم وبيد الموصي مالا هل يجوز أن يرفع من مال اليتيم في أجرة تعليم الولد في الكتاب أم لا ؟ " ، تبين من خلال النازلة أن هؤلاء اليتامى كان لهم حق في التعليم والذهاب إلى الكتاب، ولم يغفل أهل الثراء والبر أيضا عن المشاركة في رعاية الأيتام، فكان الجاري بالمغرب أن يقوم جماعة من العدول بتقديم أحدهم على صبي يتيم الأب تقديما مطلقا لرعايته والإهتمام بشؤونه [2]، وقد أشار الونشريشي في أحد النوازل أن رجل أوصى لصبية يتيمة بأن يدفع لها بعد وفاته ربع حانوته، وينفق عليها إلى أن تتزوج[3].

كما حظي المرضى والأسرى أيضا بإهتمام ورعاية أهل الخير من الأثرياء، فأخذ المغاربة تصدق ببعض أملاكه على إبن له فإذا توفي كانت هذه الأملاك صدقة على المرضى من أهل بلده، وتصدقت إمرأة بجزء من أملاكها لأحد الأسرى كما نلاحظ أيضا أن الميسورين في بلدة ما كانوا يوصون عند شعور بدنوا أجلهم في حالة حدوث وباء بجزء من أملاكهم لفداء الأسرى وبعض جهات البر والخير . [4]

2- الوقف (الحبس):

يعتبر الوقف من أهم معالم الحضارة الإسلامية، ومن أبرزها تأثيرا في المجتمعات الإسلامية ولقد عرفت منطقة المغرب الإسلامي ظاهرة الوقف منذ القرون الإسلامية الأولى،

---

[1] - حليمة صراندي: المرجع السابق، ص150

[2] _ نفسه، ص151 .

[3] _ الونشريسي: المصدر السابق، ج10، ص294

[4] _ أبو كمال السيد: جوانب من الحياة الإجتماعية ، ص 26 .

وهناك ما يدل على أنها بدأت مع الفاتحين الأوائل، وظلت الظاهرة في حالة توسع ونماء مستمرين إلى أن بلغت أوجها خلال القرون الثلاثة الأخيرة من العصر الوسيط الإسلامي . [1]
قبل معرفة الوقف في تلمسان على العهد الزياني، يجب أن نشرح هذا المصطلح :

أ ـ الوقف لغة :

إستعمل الفقهاء مادتي " حبس " و" وقف " في التعبير عن الوقف، فإستعملت كلمات حبس أو ووقف، وأوقف للفعل ووقف وحبس للإسم وجمعت على أوقاف وأحباس ومحبوس، الحبس : المنع والإمساك، في حبس الشئ " وقفه لا يباع ولا يورث " وقال في وقف الدار " حبسها في سبيل الله " ومنها كلمة الوقف والواقف.[2]
ويعرف إبن منظور حبس هو الوقف، يقول وقفه صاحبه وقفا محرما لا يورث ولا يباع، يحبس أصله وقف مؤبد، ونقل الأزهري أن الحبس جمع الحبيس " يقع على كل شئ وقفه صاحبه " وفي حديث الزكاة أن خالدا جعل رقيقه وإعتده حبسا في سبيل الله، يقال حبست أي وقفت، وتحبس في الكلام توقف [3].

ـ **اصطلاحا:** فالوقف هو صدقة جارية ما بقيت أو بقي أصلها، سواء كان هذا البقاء طبيعيا يحدد العمر الإقتصادي للمال الوقوف، أم إراديا ويشمل هذا تعريف جميع أشكال الوقف وأنواعه فهو أولا حبس عن إستهلاك الشخصي، فهو يخدم المصلحة العامة، وهو حبس عن الإستهلاك والإتلاف والبيع وسائر التصرفات، وهذا هو المقتضى من حبس لغرض معين واحد هو الإنتفاع به في وجه من جوه البر، وهو يقع على المال قد يكون ثابتا كالأرض والبناء، أو منقولا كالكتاب والسلاح، وهو يتضمن حفظ المال والإبقاء عليه حتى يمكن تكرار الإنتفاع به أو بثمرته وهو بذلك يتضمن معنى إستمرارية وجود المال حتى يستطيع أن ينتج جريانا في الصدقة [4].

ب ـ أنواع الوقف :

للوقف أبعاد دينية، إجتماعية، إقتصادية، وإنسانية أعطت أنشطتها سائر أوجه الحياة الإجتماعية وإمتدت لتشمل المساجد والمرافق التابعة لها والمدارس ودور العلم والمكتبات والمؤسسات الخيرية الكافلة للفقراء .

<u>الوقف على المساجد :</u>

تعد المساجد أفضل بقاع الله على الأرض، وكان لزاما على المسلمين تعميرها وتزويدها بالحاجة اللازمة من ترميم وبناء .

أشار المازوني إلى هذا النوع من الحبس في نوازله، حيث يقول : "سئل سيد أبو موسى عيسى بن محمد بن عبد الله بن الإمام التلمساني رحمه الله تعالى فضل حبس مسجد بعد إعطاء المسجد ما يحتاج إليه وتوسيع عليه في ذلك"[5] يبدوا من خلال النازلة أن الوقف يزود المسجد بالمرافق الهامة كمحلات الطهارة لأن تحتاج إلى إصلاح دائم وتزويدها بالماء الطاهر وتنظيفها، وأورد في نازلة أخرى أن "دار حبست على مسجد قليلة الكراء هل

---

[1] _ عبيد بودار : دور الوقف في خدمة العلم وأهله ، نماذج من تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط ، قسم تاريخ معسكر، د ت ، ص 01.
[2] ـ منذر قحف : الوقف الإسلامي تطوره إدارته ـ تنميته ، دار الفكر ، دمشق ، ط 2 ، 2006 ، ص 54 .
[3] _ إبن منظور : مرجع سابق ، حرف ق ، ص 752 ـ 753 .
[4] _ منذر قحف: مرجع سابق ، ص 63 .
[5] _ حليمة صراندي: المرجع السابق، ص153.

تعوض بموضع أخر أغبط منها وأكثر فائدة، وهو أيضا يخاف عليه التهدم والخراب أم لا " تشير النازلة أن أموال الحبس كان يتصرف بها بالكراء والبيع وهذا من أجل ضمان دخل المسجد، ويبدو أن الفقهاء أجازوا تبديل أو بيع الحبس إذا كان قليل المورد، بشرط تبديله بمكان أحسن منه. أما القائمون على المسجد ينتفعون بأحباسه، ودليل ذلك قوله " سئل الشيخ أبو الحسن الصغير عن دار حبست على مسجد فأحتاجت إلى الرم والإصلاح فطلب الإمام أن تصلح من مال المسجد فهل ترمم بذلك أم لا "، فأجاب " الحمد لله أحباس دار المسجد من غلة أحباسه واجب إن إمتنع الإمام من الخروج والكراء لتكرى يعطي هو وسائر قومه المسجد من غلة أحباسه وإنتفاع أمام من دار الإمامة كالأجرة على الإمامة "، وعليه فكل قائم على المسجد من الإمام، معلم وغيرهم ينتفعون من أحباسه .

الوقف على المدارس:

عرف الإسلام وقف الأموال على التعليم وبناء المساجد، فقد أورد المازوني العديد من الأمثلة هذا نوع من الوقف، حيث أشار في أحد نوازله أن " فقيه بني مدرسة سكنا لطلبة العلم والإقراء ".

وجاء أيضا أن " رجل كان بإزاء داره برج فبناه بيتا وكان يقول عند أخذه في بنائه إبني ها هنا بيتا يقرئ فيها المؤدب أولادي الصغار، فبناها وأجذ مؤدبا لأولاده يقرئهم فيها".[1]

كما شاعت ظاهرة تحبيس الكتب، حيث أفادنا صاحب الدرر المكنونة بنص يقول فيه: " أن رجل حبس كتبا بعد موته " [2].

فكانت تصرف أموال الأحباس في بناء المدارس وأجرة المؤدب .

وإلى جانب المساجد والمدارس برزت مؤسسات أخرى كان لها دور في إثراء الحياة الثقافية والاجتماعية معا ألا وهي الزوايا. [3]

إن الدور الاجتماعي للزوايا لا يمكن إنكاره، حيث مثلت ملجأ للفقراء وعابري السبيل ومن أبرز الزوايا، الزاوية التي بناها أبو حمو موسى الثاني سنة 763هـ

على ضريح والده وعمه وخصص لها أوقاف جليلة، وجرايات من العقار المنوع، وأنفق فيها أموالا كثيرة وأحاطها برعاية. [4]

الأوقاف على المساكين والفقراء :

نجد داخل المجتمع طوائف كثيرة تكون محتاجة إلى الرعاية الإجتماعية، لذا خصص لها جانب من الوقف، يمدنا المازوني بهذا النوع من الحبس في كتابه، حيث يقول في نازلة أن: " قوم يعينون أشجار من التين والعنب للضعفاء والمساكين فمنها ما هو مجتمع ومنها ما هو متفرق وتكون الأشجار بموضع ينتفع به بالحراثة لا يزالون يحترثونها وينتفعون بها لأنفسهم ومنهم من يذكر أشجار التين ويخدمها ويأخذ عليها جزاءا معلوما كما جرت العادة بينهم. وجاء أيضا أن " رجل حبس فدان على الفقراء والمساكين ومات فإن أخذ كراؤه هل

---

[1] _ حليمة صراندي: المرجع السابق، ص154

[2] _ نفسه، ص 155 .

[3] _ عبيد بوداود : مرجع سابق ، ص 21 .

[4] _ عبيد بوداود : مرجع سابق ، ص 22 .

يعطي منه لنسل المحبس إن كان فقيرا "، نلاحظ من خلال النازلتين أن هذه الفئة كان لها حظ وافر من الوقف.[1]

يبدوا أن المدارس والمساجد والمنشآت العمرانية التي بنيت في تلمسان كانت من أموال الوقف، كما هي موضحة في الجدول التالي :

جدول (4 - 1) لأهم الأوقاف في تلمسان :

الموقوف	نوع الوقف	سنة الوقف	الواقف
بناء مسجد مقابل باب البنود	وقف على المساجد	696هـ/ 1296م	أبو سعيد عثمان
مدرسة أبي مدين بالعباد	وقف على المدارس	747هـ/ 1347م	أبو الحسن المريني
بناء مكتبة	وقف على المكتبات (الجانب العلمي)	760 هـ/1359م	أبو حمو موسى الثاني
أرض بيضاء	حبس على مسجد	/	/
أرض	حبس على مسجد	/	شيخ من جبابرة العرب
دار	حبس خاص	/	إمرأة حبست على ولدها .
الكتب	حبس على المكتبات والمدارس	/	فقيه
أشجار الدردار	حبس على المسجد	/	قبيلة
أرض	حبس على المساكين	/	/
مال	علي حصن	/	/
دار	حبس خاص	/	إمرأة لإبنتها

المصدر : حليمة صراندي: المرجع السابق، ص156 ص157

نستنتج من خلال الجدول أن الوقف في تلمسان عرف تنوعا، وثراء، كما نلاحظ أن ملوك تلمسان ساهموا في عملية الوقف بشكل كبير جدا من خلال القيام بمشاريع كبرى، ولم يخلوا الوقف من مشاركة طبقة العوام فيه، فكثير من النوازل تشير إلى ذلك في ما يخص الأحباس الضعيفة وهذا يرجع إلى محدودية دخل هذه الطبقة إلى جانب التقسيم السابق لأنواع

[1] - حليمة صراندي: المرجع السابق، ص155

الوقف، يمكننا أن نقسمه كذلك إلى وقف خاص وهذا النوع من الوقف نجده بكثرة بين أفراد العائلات، فتكون منفعته خاصة بالأسرة وهناك وقف عام الذي يخدم المصالح العامة للمسلمين وهذا النوع من الوقف كان له الدور الريادي في تطوير المنشآت العمرانية، والمحافظة على القنوات وصيانتها والإهتمام بالشؤون الأمنية عن طريق المساهمة في بناء أسوار المدن والإنفاق على المشاريع الجهادية .

دور الوقف في الحياة الإجتماعية :

يمكن تلخيص أدوار الوقف في النقاط التالية :

- كان للوقف دور مهم في تعمير المساجد، ونشر الفضيلة، وتغيير المنكر داخل المجتمع.
- ساهمت الأوقاف في إنتعاش الحركة العلمية وإستمرارها، وكان لها دور في تغطية نفقات الطلبة وأجر المعلمين، وساعد الوقف على ديمومة التعليم .
- لعبت الأوقاف دور مهم في الحفاظ على الموروث الضخم من المخطوطات من خلال بناء الزوايا والمكتبات، فكل ما وصل إلينا من مخطوطات بفضل الوقف وإنتشار ظاهرة حبس الكتب .
- ساهم في بناء المدينة، فالكثير من المنشآت العمرانية العامة كانت تبنى من أموال الحبس.
- ساعد على التكافل الإجتماعي، وإرساء الأخوة عن طريق نزع الفوارق الإجتماعية .
- ساهم في التخفيف من ظاهرة التسول في الشوارع والطرقات .
- شكل مصدر رزق مهم للفقراء والأرامل واليتامى .
- ساعد كثيرا الحركة الجهادية للمسلمين في بلاد الكفار من خلال تجهيز الجيش توفير المال لصناعة الأسلحة وبناء الحصون، وفك أسر المسلمين من أيدي الأعداء.

ثانيا: الرعاية الصحية.

1- الأدوية والعلاج:

يستند العلاج أساسا على الأدوية النباتية واللقاح والقصد،و بعملية الإسهال وتطهير الأمعاء، والحجامة وهي أكثر أساليب المعالجة شيوعا بتلمسان وكانت بعض الأدوية التي توصلنا إلى معرفتها من خلال ما وجدناه في النصوص الزيانية، والتي كان المرضى يستعملونها، وتتمثل في الأنواع المختلفة من الاشربة ومن الغر غار، والادهان وحب الفلفل والتبوع والبتوع اللبد، وهي عبارة عن عروق لنبات الانبسون والسكر، يخلط بالماء ثم تقدم شراب للعلاج، والعشاري وحب الزنم، وهو دواء يصلح للأمراض التناسلية والجنسية وحب العروس وهو شراب يعالج الصدع ووجع الأسنان وعصير العناب والرمان.

ومن عادة أهل تلمسان أن يقدموا للمريض مرق الشربة بالدجاج، عندما يشتد عليه الزكام والسعال، و حسو النسا، وتتم القصد عندهم بإخراج الدم بواسطة الحجامة، ثم يتناولون بعض الاشربة المقوية، والغر غار وادهنة الجروح وشراب الارجون.

نشير هنا إلى أن الخطيب ابن مرزوق قد تعرض لمرض يئس الأطباء من شفائه، فلم يبق لهم إلا أن طلبوا من والده العباس بن احمد وهو الولي الصالح، ان يتضرع الى الله ،حتى يكتب له الشفاء ففعل فاستجاب الله لدعائه فقال احد الأطباء :" هذا طب القلوب وليس طب العلوم ".

وكان الاطبا ء يعالجون مرض الرمد،بدواء يحضر بخلط الحضض باللبن،و تطلى به الأجفان،[1] وتغسل العينان ،بماء يطبخ فيه السادروج، ويعصب عليها ورق الهدب مدقوقا ومعجونا ببياض البيض وورق الفجل ودهن الورد مدقوقا حتى يصير مرهما.

وكان العلاج يتم تحت أشراف الاطباء او في بيمارستان المدينة، ويبدو ان بيمارستان تلمسان ،قد شيد قبل عهد أبي حمو موسى الثاني، لان السلاطين الذين سبقوه كانوا ايضا سباقين الى فعل الخيرو خدمة الرعية، مولعين بالبناء والتشييد ومتنافسين عليه، وقد سبق ليوسف بن يعقوب ان بني بيمارستان في مدينة المنصورة ،أثناء حصاره الطويل لمدينة تلمسان، وعنى بتجهيزه بالوسائل المادية والبشرية.

ويعمل بالمستشفى الاطباء الحكماء ،لمداواة المرضى ومعالجتهم والتخفيف من ألامهم، ومعناتهم والتصرف في مطابهم، وكانت به عدة غرف متخصصة للحمى والمجانين المجذوبين.

وبالرغم من انعدام الوثائق التي تبين سير العمل في البيمارستان التلمساني، وتوضيح هيئة الموظفين الذين يعملون به ،الا انه يمكن استخلاص ذلك ،من خلال اشارات في هذا الباب اوردها حسن الوزان الفاسي، والذي أكد على وجود موظفين للمستشفى الى جانب الاطبا ء والحكماء، منهم الكتاب والحراس والطباخون وغيرهم، يتقاضى كل واحد منهم أجرا عددا كل شهر.

كانوا يتتبعون الحالة الصحية لكل نزلاء البيمارستان، وكان الطب النظري موضوع عناية عدد كبير من الأدباء والفقهاء، نظرا لعناية الدولة ورعايتها لهذا الجانب من العلوم الطبيعية . فضلا عن المهمة الصحية والإنسانية، التي يقوم بها البيمارستان كان يستقبل الغرباء ويستضيفهم ثلاثة أيام، ويداوي الطيور والحيوانات الجريحة، ويتكفل بغسل الأموات الغرباء وكفنهم ودفنهم.

والظاهر أن المستشفى كان يعالج المرضى بالموسيقى، فقد كان له وقف برسم الموسيقيين الذين كانو يزورونه، مرة او مرتين في الاسبوع، ويقدمون للمرضى ونزلا ئه نغمات موسيقية مناسبة لهم . لان ذلك يفيد في انشراح الصدر وانعاش الروح ،فتقوى ضربات القلب وتعود الاعضاء الجسمية الى تادية وظائفها. فقد كان العلاج بالموسيقى والغناء من الوسائل النافعة في علاج الحمق ،كما هو الشان في الوقت الحاضر.[2]

وكانت طريقة العلاج ايضا تخضع للطريقة النفسية، وهي طريقة معالجة الاضداد بالملاطف والتدبير، وكان يقدم للمرضى ثياب بالمجان للنوم في الليل والنهار في فصل الصيف والشتاء . وقد الحق بالمشفى ،صيادلة لصناعة الاشرية والادهان والاكحال. وتوجد بعض الصيدليات التي يملكها الاطباء ،في سوق العطارين تباع فيها المواد المنتعلة، بالعطارة والطب، التي يهيئها الاطباء والحكماء في منازلهم، وتباع للمرضى مقابل وصفة طبية.[3]

2- اشهر الاطباء بتلمسان :

كانت مهنة الطب متداولة بعناية في تلمسان خلال العهد الزياني، وكان الاطباء والعلماء يقومون بتدريس العلوم العلوم الطبية، النظرية والعلمية للطلبة، في بعض مساجد ومدارسها، وفي البيمارستان والتي تحتوي على كراسي لتدريس هذا العلم . وقد حرص

[1] _ عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق ص246

[2] _ عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق، ص247

[3] _ نفسه، ص248

سلاطين بني زيان وذوي النباهة من ابناء تلمسان وعلمائها على العناية الطبية ،الى جانب عنايتهم بالعلوم الأخرى، الدينية والادبية، والعمل على اقتناء نفائس كتبها، وتجميع مصادرها من المغرب والأندلس والمشرق،و بذلك تعددت المصادر العلوم بخزائن تلمسان ومكتباتها في الطب الصيدلة والعلوم الطبيعية والبيطرة وعلم النبات وغيرها.

فقد كانت الكتب والسائل العلمية ،تؤدي للطلاب انفع الخدمات، والحصول على ما يحتاجونه من مادة علمية ومن أدوات البحث ، فالنصوص تشير إلى وجود اكثر من ثلاثمائة عنوان لمصنفات الطب والصيدلة، في خزائن حواضر المغرب خلال العهد الزياني .وقد برز في العلوم الطبية من التلمسانيين في العهد الزياني كان لبعضهم باع فقي هذا المجال نذكر منهم مايلي:

1- ابو القاسم محمد بن ابي القاسم الحكيم التلمساني ،نبغ فقي العلوم الطبية والفقه والخطابة، وكان يؤم الناس في الصلاة قربه للسلطان ابو تاشفين الاول،رعاه حتى صار طبيبه الخاص .

2- أبو عبد الله محمد بن أبي الجمعة التلاليسي ،من أهل تلمسان، كان جراحا ممتازا ،قام بعملية جراحية لامعاء السلطتن ابي يعقوب المريني، واخاط الجرح الذي اصابه في بطنه، بالمنصورة [1] كطبيب محترف، اختصه السلطان ابي حمو موسى الثاني، فكان طبيب البلاط، فضلا عن كونه شاعرا ممتازا مدح السلطانة في كثير من المناسبات ،وله قصائد كثيرة في المولديات.

3- محمد بن علي بن فشوش: طبيب تلمساني ماهر ،زاول مهنته بكفاءة عالية، وكان يدرس العلوم الطبية بمدارس تلمسان ،درس عنه العالم المصري الرحالة عبد الباسط بن خليل ،الذي زار تلميان، قصد الاخذ من اطبائها وعلمائها وفي هذا المجال يقول: "ولقينا بها (تلمسان) جماعة اخرى من الفضلاء والادباء والاطباء منهم محمد بن علي بن فشوش،[2] احد أطباء تلمسان في المزاولة والدراسة، وسمعت من فوائدهم، وحضرت الدروس بعضهم ونقلت عنه أشياء وأجازوني.

4- موشى بن صمويل بن يهود الإسرائيلي المالقي الاندلسي المتطبب المعروف بابن الاشقر يعد من اشهر الاطباء وامهرهم قدوة وحدقا في ميدان الطب، ولد بمالقة سنة 820ه / 1418م، اخذ ها العلم عن ابيه اشتهر بهذه الصنعة في الاندلس، ثم انتقل الى تلمسان وحط رحاله بها، حيث زاول بها مهنة الطب وتدريسه للطلاب المهتمين به ، لازمه كثيرا منهم وتوافدوا عليه من حواضر واقطار مختلفة طلبا لهذا العم، وقد درس عليه الرحالة المصري واجازه، فقال عنه:" لم اسمع بذمي ولارايت كمثله في مهارته وفي هذا العلم وفي علم الوفق والميقات.

اخذ شهرة كبيرة في مدينة تلمسان وداع صيته خارجها، انتهت اليه دراسة الطب، وصار الطبيب الخاص للبلاط الزياني والمقرب من امرائه.

5- ابو اسحاق ابراهيم بن محمد التلمساني الثغري الطبيب ،الف رسالة او معجما صغيرا في الطب رتبه على حروف المعجم، وهو عبارة عن قائمة ،باسماء الاعشاب ونحوها ،مما

[1] _ عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق ص248

[2] _ نفسه، ص248

يتداوى بها في ذلك العصر،اضاف له معلومات شخصية عن الادوية الشائعة في التطبب في عصره.

استهل إبراهيم معجمه أو رسالته هذه ،بالادوية النافعة لبرد الدماغ، وهي تشمل على اضمدة الدهان وغيرعا ،تحتوي الرسالة على وصف ادهان واشربة وسفوفات ومعاجين، مع ذكر منافها الطبية ،كما تتعرض الى بعض امراض العين.[1]

و ساهم بعض الفقهاء والعلماء في ميدان الطب، وان لم يكونا متخصصين فيه مثل:

6- الفقيه ابي الفصل المشذالي التلمساني (ت866ه / 1461م) ،الذي درس الطب على محمد ابن علي من فشوش التلمساني السالف الذكر.[2]

7- الفقيه الصالح محمد بن يوسف السنوسي (ت 895ه/ 1489م) ،الذي كرس العلوم الطبية، ولكنه لم يخرج في تناوله لهذه العلوم عن دائرة اختصاصه، بل جعل معارفه المتنوعة تكمل بعضها ،فقد ربط بين الدين واستعان بالاحاديث النبوية ،في المجال الطبي والتزم بتوجيهاته في الامتهان به.

و قد كتب في هذا الميدان مصنفا سماه " شرح حديث المعدة بيت الداء والخيمة راس الدواء" استهله بقوله :' فقد جرى بيني وبين اخوان نجباء لكلام في فصل صناعة الطب، و انها شطر العلم "، وختمه بقوله :" كذلك تقبل الاعضاء قبولا حسنا لاستفراغها من العظلات ،بسبب الرياضة فتستقيم بذلك الصحة بإذن الله عزوجل "

و الظاهر ان لهذا المصنع عدة عناوين منها "رسالة في الطب "و "تفسير ما تضمنته كلمات خير البرية ،من غامض اسرار الصناعة الطبية واوضح فيه السنوسي الحمية ثم انتقل الى الاغذية والفواكه والاشرية وتاثيرها على الجسم ،كما تحدث عن الهضم والاخلاط، وتأثيرهما على الصحة وواجبات الإنسان في حفظ المعدة والعناية بها .

و له تالي فاخر في مبدان الطب عنوانه "مجريات في الطب "و "مقدمات فوائد" يتكون من 144 ورقة في الطب أيضا، وله شرح لارجوزة ابن سينا في الطب لم يكمله .

8- و منهم ابو عبد الله المالقي المتطبب ،الذي عاصر العالم الفقيه الابلي والإمام المقري الجد.

9- و منهم داوود عبد الله البغدادي ثم التلمساني ،الطبيب الماهر ،كان ضريرا عاش مابين القرنين الثامن والعاشر الهجريين ،تميز بمعارف طبية عظيمة.

10- و منهم الفقيه ابو الفضل محمد بن عبد الرحمان بن الامام (ت845ه/1441م)صاحب القدم الراسخ في التصوف والادبيات والشعر والطب.[3]

[1] _ عبد العزيز فيلالي:المرجع السابق ص249

[2] _ نفسه، ص 250

[3] _ عبد العزيز فيلالي: المرجع السابق ص250

الفهرس :

-مقدمــة .....

-مدخــل 5-9

-**الفصل الأول :** دراسة الحياة في المجتمع الزياني 10

-المبحث الأول : المجتمع من خلال نمط المعيشية 11

1-الطبقة الخاصة 11

أ- الحكام 12-13

ب-عمال السلطان 12-20

ج-الفقهاء الطلبة : 20-21

د-الشرفاء و المرابطون (المتصوفة) 21-23

2-الطبقة العامة 24

أ-الأسرة 24-27

ب-القابلات 27

ج –العبيد 28-30

ثانيا : المجتمع البدوي 30

1-أصناف البدو 30-31

2-تنظيم المجتمع البدوي 32-33

المبحث الثاني : فئات و مكونات المجتمع الزياني 33

أولا : الفئات الأصلية في المجتمع (الأغلبية) 33

1-البربر 33-35

2-العرب 35-38

ثانيا : الفئات المهاجرة في المجتمع (الأقلية) 38

2-الأغرار 42

3-الأندلسيون 42-44

الفصل الثاني : أزمات و مشاكل المجتمع

المبحث الأول : المشاكل الإجتماعية و الأمنية 45

أولا : فساد الأخلاق 46

1-مظاهر الفساد في المجتمع 46

2-الغش و الرشوة 46-48

3-الإنحلال الخلقي 48-51

ثانيا : قلة الأمن 51

1-اللصوصية و قطع الطريق 5-53

2-الفتن و الحروب 53-54

المبحث الثاني : المجاعات و الأوبئة 54

أولا : المجاعات 54-53

1- عواملها : البشرية و الطبيعية 56-58

2-أهم المجاعات 57-58

ثانيا : الوباء 58

1-أسباب حدوثه 58

2-أهم الأوبئة 60

3-أنواع الأوبئة 61

ثالثا : نتائجهما 61

1-الإجتماعية 63-62

2-الإقتصادية 62-61

الفصل الثالث : وسائل حل الأزمات 64

المبحث الأول : وسائل مكافحة الفساد 65

أولا : الإدارية 65

1-الدواوين 66

2-الإدارة المحلية 67-65

ثانيا : القضائية 68

1-شروط القاضي 68-67

2-وظائف القضاء 71-68

3-أهم القضاة 74-71

ثالثا : الأمنية 74

1-الحسبة 78-74

2-الشرطة 81-78

3-السجون 81

المبحث الثاني : الرعاية الإجتماعية و الصحية..... 82

أولا : الرعاية الإجتماعية و الأوقاف 82

1-الرعاية الإجتماعية 82

2-الوقوف (الحبس) 88-82

ثانيا : الرعاية الصحية 88

1-الأدوية و العلاج 90-88

2-أهم الأطباء 93-90

-الخاتمة 95-94

-الملاحق 103-96

-فهرس الأعلام و الأماكن 109-104

-فهرس الجداول و الخرائط 111-110

-قائمة المصادر و المراجع 118-112

-الفهرس 122-119

خاتمة

خاتمه

عرف المجتمع ترابط و تكافل كبير و يعود ذلك لكثرة الأوقاف داخل المجتمع التي ساهمت في بناء منشات قاعدية كالمدارس و الزوايا ،بالإضافة إلى تقديمها يد المساعدة للفقراء و المحتاجين ،و انتشر الوقف الخاص داخل الأسر الزيانية، لم تخلو تلمسان من الكوارث الطبيعية فقد مرت بها العديد من الأوقات الصعبة كالمجاعة التي عرفتها من جراء الحصار المريني.

تمتع الفقيه المتصوف و الشريف بسلطة معنوية بدأت مظاهرها واضحة على صعيد المجامع فقد كان الفقيه مرجعا في ضبط الحياة العامة داخل المجتمع و بالرغم من دور الفقهاء في هذا الأخير و انتشار التصوف بين مختلف الأوساط الاجتماعية غير ان المجتمع عرف الفساد الذي عود إلى ضعف سلطة الحكام و تسلط العرب.

بعد البوادي و بعد القرى عن حاضرة تلمسان جعلها مركز لانتشار الجهل و اعتداء القبائل العربية و العصبية لذا كان هذا المجتمع مركز اهتمام الفقهاء لدى كان هذا المجتمع مركز اهتمام

الفقهاء و عينيتهم للتطبيق مبدأ الحسبة في هذه المناطق ،كما أدى إلى ضعف الدولة إلى غياب سلطة تسير المجتمع الريفي فقام الفقهاء بهذا الدول،و برغم من ان فئة العبيد كانت أسفل الهرم إلا أنها دورا هاما داخل المجتمع كما تلاحظ ان الطبقات العامة كانت بعيدة عن الحكم و السلطان و رغم ذالك كان لها دور في الأحداث السياسية الكبرى على الرغم من هشاشتها فان الدولة في أوقات الفتن و الكوارث تستعين بها لأنها تمثل الغالبية الساحقة للمجتمع.

غير نشير إلى انه على غرار جميع البحوث و الدراسات من جهة و هشاشة الموضوع من جهة ثانية فان دراستنا لا تخلو من النقائص إذا تبقى هناك بعض هناك نقاط تستحق التوضيح و الدراسة بشكل أعمق و بكثير من التحليل كذلك جوانب من الحياة الاجتماعية كنظام الوقف و عليه نقول من بين المواضيع التي تقدم كافاق لدراستنا نجد:

- الفوارق الاجتماعية بين المجتمع الحضري و البدوي و أثارها على سلوكيات الفرد.
- دور الجالية اليهودية في التبادل التجاري بين المغرب الأوسط و العالم المسيحي.

المصـــادر
و
المـــــراجـــع

أ-**المصادر :**

1. **<u>القرآن الكريم:</u>**
2. ابن مرزوق، محمد (ت 871 هـ/1379م)، **المسند الصحيح الحسن في ماثر و محاسن مولانا ابي الحسن**، تحقيق ماريا خيسوس بيغرا، منشورات المكتبة الوطنية، ج، ط، 1981.

3. ابو زيد عبد الرحمان بن محمد ابن خلدون، ت 1405/808، **المقدمة**، دار القلم، بيروت، لبنان، ط1، 2003.
4. أبو حمو ابن زيان، **واسطة السلوك في سياسة الملوك**، المطبعة الوطنية التونسية 1979.
5. ابي عبيد البكري، ابو عبيد بن عبد احمد (ت 487هـ/1094م)، **المغرب في ذكر بلاد افريقيا و المغرب**، جزء من كتاب المسالك و الممالك، مكتبة دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003.
6. الادريسي، ابو عبد الله محمد بن محمد (ت 560هـ/1166م))، **المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق**، تحقيق محمد حاج الصادق، مركز المطبوعات الجامعية، الجزائر، د، ط، 1983.
7. البلاذري، **فتوح البلدان** .
8. احمد بابا التنبكتي ت (963 هـ/1036)، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج** اشراف و تقديم عبد الحميد عبد القادر الهرامة، منشورات كلية دعوة الاسلام، طرابلس، ط1، 1989.
9. ابن الاحمر، **تاريخ الدولة الزيانية**، تحقيق هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية بورسعيد، ط1، 2001.
10. ابن حزم، ابو محمد علي بن أحمد (ت 456هـ /1065)، **جمهورة انساب العرب**، عبد العزيز محمد الوكيل، دار الفكر الاسلامي، بيروت، د.ت.
11. ابن سعيد المغربي، ابو الحسن علي ابن موسى (ت 685هـ /1286)، **كتاب الجغرافيا**، اسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1982.
12. العبدري، ابو عبد الله محمد بن محمد، ت 720هـ، **الرحلة المغربية**، تحقيق سعيد بوفلاق، منشورات بون و الدراسات، الجزائر، 2007.
13. ابن خلدون عبد الرحمان **العبر و ديوان المبتدا او خبر في ايام العرب و العجم و البربر، عاصرهم من ذوي سلطان الاكبر**، دار كتاب اللبناني، بيروت، 1968
14. العقباني، ابو عبد محمد بن احمد قاسم بني سعيد العقباني (ت 871هـ/1467) **تحفة الناظر في حفظ الذاكر الشعائر وتغيير المناكر** تحقيق علي الشنوفي، نشر المعهد الفرنسي، دمشق، 1967.
15. **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان**، مقتطف من نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان، محمد بن عبد الله التنسي، حققه محمود عياد، الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007.
16. الادريسي، علي السنوسي الخطابي (ت) 1272، **الدرر السنية في اخبار السلالة الادريسية**، مطبعة الشباب، مصر، 1349 هـ.
17. مؤلف مجهول، **وصف افريقيا**، من كتاب الاستبصار في عجائب الانصار.
18. مؤلف مجهول: مفاخر البربر، تحقيق عبد القادر بوباية، دار أبي الرقراق، الرباط، 2005.
19. مرمول كربخال، **افريقيا**، ترجمة محمد جحي و اخرون، مكتبة المعارف، رباط، د.ط، 1994.
20. الونشريسي، ابو عباس احمد الونشريسي، (ت 914هـ/1508)، المعيار المغرب و الجامع المغرب عن الفتاوى **اهل افريقية و الاندلي**، الرباط، 1981

21. يحي ابن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك بني عبد الواد، **تحقيق عبد الحميد حاجيات**، المكتبة الوطنية، 1980.
22. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان ابن أبي بكر (ت 911 هـ) **تاريخ الخلفاء و أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة**، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة الطبعة الأولى 1992.
23. الماوردي، علي ابن محمد (ت 450 هـ - 1058 م)، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، مكتبة المصطفى بابي الحلبي، القاهرة، 1960 م.
24. الوزان حسن: وصف إفريقيا، ترجمة محمد جحي، الأخضر، دار الغرب الإسلامي، المطبعة الثانية، 1983، ج2.
25. الونشريسي، أحمد ابن يحي، **الولايات ومناصب الحكومة و الخطط الشرعية**، نشر و تعليق محمد أمين بلغيث و لافوميك، 30 جولية 1994 م.

ب-المراجع :

- المراجع العربية :

26. ابو مصطفى كمال السيد، **محاضرة في تاريخ المغرب الاسلامي وحضارته** مركز الاسكندرية للكتاب، مصر، د.ت.
27. الجمل، محمد عبد المنعم، **الحضارة الإسلامية**، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، 2003.
28. جودة عبد الكريم يوسف، **الاوضاع الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب الاوسط من خلال القرنين الثالث و الرابع الهجريتين 10/0/4هـ**، ديوان المطبوهات الجامعية، الجزائر، د.ت.
29. حلمي عبد القادر علي، **جغرافية الجزائر (طبيعة، لشرية، اقتصادية)** مكتبة الشركة الجزائر، ط1، د.ت.
30. الخالدي محمود، **الإسلام و أصول الحكم**، عالم الكتب الحديث، اليرموك، 1426 هـ - 2008 م
31. حساني مختار، موسوعة **تاريخ و ثقافة المدن الجزائرية**، ج 4 دار الحكمة، 2007.
32. الجيلالي عبد الرحمان، **تاريخ الجزائر العام** ، شركة دار الامة الجزائر العصر المريني، دار القلم، الطويت، ط2، 1987.
33. ابو القاسم بن حوقل، **صورة الارض** الفاروق الحديثة، القاهرة ص48.
34. حساني مختار، **الاحوال الاجتماعية** دار الحضارة الجزائر 2007.
35. عبد المجيد مزيان، **النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون و اسسها منذ الفكر الاسلامي و الوقائع المجتمعي**، دراسة فلسفية و اجتماعية، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الثانية، 1988.
36. محمد الطمار، **تلمسان عب العصور دورها السياسي و حضارة الجزائر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.
37. محمد عابد الجابر، **فكرة ابن خلدون العصبية و الدولة، معالم نظرية ابن خلدون في التاريخ الاسلامي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط6، 1994.
38. مسعود كواتي، **اليهود الاسلامي في المغرب**، مطبعة الهوما، الجزائر، د.ت.

39. منذر قحف، **الوقف الاسلامي و تطوره**، الدراسة التنمية، دار الفكر، دمشق ط2، 2006.
40. الزبيدي محمد حسين، صالح صادق السباني، **الدولة الأموية الجامعة المفتوحة**، طرابلس، ط1، 2002م.
41. محاسنة محمد، **الحضارة الإسلامية**، مركز يزيد للنشر، جامعة مؤتة، عمان، ط1، 1426 هـ، 2008 م.
42. الفيلالي عبد العزيز، **تلمسان في عهد الزياني**، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر 2002 ج2.
43. أنيس ابراهيم و رفاقه، **المعجم الوسيط**، دار المعارف المصرية، اعداد و اصدار مجمع اللغة العربية المصرية.
44. بوربية رشيد و موسى لقبال، عبد الحميد الحاجيات، **الجزائر في تاريخ العهد الإسلامي منذ الفتح الى بداية العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984.
45. أحمد سعداوي، **المجاعات والأوبئة، في تاريخ الغرب الاسلامي**، النتائج الديموغرافية.
46. دراجي بوزياني، **نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1993.
47. قويدر بشار، **دراسات في النظم الاسلامية**، المطبعة الجزائرية للمجلات و الجرائد، منشورات حلب، الجزائر.
48. براهيمي نصر الدين، **تلمسان الذاكرة**، نص سيدي محمد نقادي، منشورات دار التالة الابيارالجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007.

- المراجع المترجمة :

49. جورج مارسيه، **تلمسان**، ترجمة سعيددخماني، دار النشر الجزائر، طبعة الجديد، 2006.
50. فرنان بروديل، **المتوسطة للعالم و المتوسطي في عهد فيليب الثاني**، ترجمة منشورات كلية الاداب و العلوم الانسانية، الرباط، د.ت
51. مؤلف مجهول **مفاخر البربر** تحقيق عبد القادر بوباية دار ابي رقراق الرباط، 2005.

ج. الرسائل الجامعية :

52. سمية مزدور، **المجاعات و الاوبئة في المغرب الاوسط (588 هـ - 927 هـ/1432م-1520)**، مذكرة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ و الاثار، قسنطينة، 2008-2009.
53. مكيوي محمد، **الاوضاع السياسية ولثقافية للدولة العبد الوادية** منذ قيامها حتى نهاية عهد ابي تاشفين(633ه-1236م) (737ه-1337) مذكرة ماجستر غير منشورة جامعة تلمسان 2001/2000.

54. بلعربي خالد، **التطورالسياسي والحضاري للدولة العبد الوادية في عهد يغمراسن بن زيان 633-681ه/1235-1282م** مذكرة دكتوراه غير منشورة جامعة سيدي بلعباس 2004.
55. صراندي حليمة، **الحياة الاجتماعية في تلمسان على ضوء كتاب الدرر المكنونة في نوازل مازونة للمازوني**، مذكرة ماستر، جامعة شلف، 2010-2011.
56. عبد الكريم شباب، **صورة المجتمع المغرب الاوسط خلال القرنين 7-8الهجري (13-14م) من خلال كتاب العبر لعبد الرحمان ابن خبدون**، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ و علم الاثار، وهران، 2002.
57. عبد المجيد قندوز، **هجرة الاندلس الى المغرب الاسلامي (الجزائر) نتائجها الحضارية**، مدكرة المجاستير غير المنشورة، معهد الحضارة الاسلامية، معهد الحضارة الاسلامية، قسنطينة .
58. مصطفى علوي، **صورة المغرب الاوسط في كتابات الرجالة والجغرافيين المغاربية ما بين القرنين 7و9 الهجريتين، 13و 15**، مذكرة ماجستير غير منشورة تخصص تاريخ وسيط، جامعة الجيلالي يابس سيدي بلعباس .
59. عبيد بودار، **دور الوقف في خدمة العلم وأهله**، نماذج من تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط، مذكلرة ماجيستير، غير منشورة قسم التاريخ، معسكر.
60. ابو كمال السيد، **جوانب من الحياة الاِجتماعية و العلمية في المغرب الاِسلامي**، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر 1996.

د. قواميس :

61. فيروزابادي **القاموس المحيط**، دار العلم للجميع، لبنان .
62. معجم البلدان، **ياقوت الحموي**، دار صادر بيروت الطبعة الثانية 1995 ابن منظور : محمد ابن مكرم الأنصاري (630- 711 هـ)، **لسان العرب**، دار صادر بيروت، طبعة جديدة محفظة.

هـ. جرائد :

63. جريدة الشروق، **يهود الجزائر التاريخ...المواقف و المصير**، العدد 4270.الثلاثاء 18جانفي 2014م الموافق ل26ربيع الاول 1435ه.

و. الانترنت: www.algeriagate.info/2014 03 01 archive.htmi

الملاحـــق

الملاحق :

01-تلمسان عاصمة الزيانيين :

عرفت تلمسان أوج تطورها الحضاري مع تأسيس الدولة العبد الوادية أو الزيانية 1236م-1554م بقيت ثلاث قرون،العاصمة السياسية والاقتصادية والثقافية للمغرب الاوسط ولم تضاهيها اي مدينة [1] في الجزائر الحالية حتى فيما عانته وتكبدته من ويلات حروب وحصار.

تداول على الدولة الزيانية 35 سلطانا منهم من عمر طويلا ومنهم من لم يدم حكمه الا اياما :

السلطان الزياني	فترة حكمه	انجازاته
يغمراسن بن زيان	1236م-1283م	-تأسيس الدولة عاصمتها تلمسان -اسس علاقات ودية مع الحفصيين شرقا وغربا هادن المرينيين -استقطاب العلماء من الاندلس ومن المشرق
عثمان بن يغمراسن	1304-1283	-ربط علاقات تجارية مع مملكة اراغون باسبانيا ومع مون بولييه الفرنسية -عام 1296 بنى مسجدا على اثر وفات اخيه ابي عامر وكان بالمسجد جملة من العلماء الذين استقروا بتلمسان[2]
ابي حمو موسى الاول	1318-1308	-عمرانيارمم الأسوار ودعمها -انجز مطامير جماعية لتخزين القمح -شجع التجارة بين الشمال والجنوب وامن المسالك -بناء اول مدرسة لابني الامام (عبد الرحمن وعيسى)[3]
ابو تاشفين عبد الرحمن الاول	1337-1318	-اهتم بفن العمارة وبناء القصور -أسس المدرسة التاشفينية،حيث انه أبدع في زخرفتها -مات في 02ماي 1337 مدافعا عن عرشه وملكه من جيوش ابي الحسن المريني[4]

1- براهيمي نصر الدين ,تلمسان الذاكرة , الجزائر 2007, ص65
2-نفسه ,ص65
3-نفسه,ص66
4-نفسه ,ص67

ابي حمو موسى الثاني	1359-1389م	-اسس المدرسة اليعقوبية نسبة لابيه1363م وبنى مسجد سيدي ابراهيم المصمودي -احتفاله بالمولد النبوي الشريف -تأليف كتاب واسطة السلوك=رسالة في الممارسة السياسة لحفظ الجيوش والامراء والجند[1]
ابو العباس احمد العاقل	1431-1462	-بناء ضريح ابي الحسن الراشدي استاذ الشيخ السنوسي -سمح لليهود بالاستقرار لانعاش الاقتصاد التلمساني لان اليهود كانوا تجارا ذوي خبرة كبيرة في ميدان القوافل واشتغلوا في تصنيع الذهب والاحجار الكريمة وعلماء او اطباء[2]

02-البربر:

وقد تفرع البربر إلى طائفتين عظيمتين بحسب أسلوب الحياة و الطابع الحضارتين و هم البربر البدو و يسمون بالبتر ينتشرون في السهول ، و يتميزون بالرحلة ،و البربر الحضر و يطلق عليهم البرانس و هم مستقرون بالقرى الساحلية . و ارجع النسابة العرب نسبها إلى جد مشترك ، وقد نقل عبد الرحمن بن خلدون هذه النظرية في أنساب البربر عن نسابة العرب، أمثال صاحب رياض النفوس و معالم الإيمان ولكن ابن خلدون فصل ذلك تفصيلا و في ذلك يقول :" وأما شعوب هذا الجيل و بطونهم ، فان علماء النسب متفوقون على أنهم يجمعهم ،جدان عظيمان و هما برنس و ماذغيس ، و يلقب ماذغيس بالأبتر فلذلك يقال لشعوبه البتر و يقال لشعوب برنس بالبرانس" وقد برز بين النسابين خلاف هل هما لأب واحد ؟ فذكر ابن حزم عن ايوب بن ابي زيد أنهما لاب واحد _ على ما حدث عنه يوسف الوراق ،قال سالم بن سليم المطماطي و طاهر بن سرور الكومي و كهلان بن ابي لوا ، و هم نسابة البربر ، ان البرانس نسل مازيغ بن كنعان ،و البتر بنو بر بن قيس بن عيلان ، و ربما نقل عن ذلك عن أيوب بن أبي زيد إلا رواية ابن حزم أصح لأنه أوثـق.[3]

1-**نصر الدين إبراهيمي**,المرجع السابق ,ص 68.
2-نفسه, ص69.
3- خالد بلعربي , المرجع السابق ,ص 32.

02- تلمسان: مدينة قديمة ويقول ابن خلدون كلمة تلمسان بلغة البربر مركبة من تلم معناه تجمع بين وسن معناه اثنان اي الصحراء والتل فيما ذكره شيخنا أبو عبد الله الابلي وكان حافظا بلسان القوم ويقال تلمسان مركب من تل وسان اي لها شان.

03-مازونة :مدينة صغيرة على بعد 60 كلم غرب الشلف اشتهرت في العصور السابقة بنشاط ثقافي كبير وكانت مقر بآيات الولاية الغربية في فترة من فترات العهد العثماني.

04-أصل اليهود بتلمسان:« فترة حكم الزيانين تعد اهم حقبة تاريخية شهدت تواجدا كبيرا لليهود بتلمسان »العديد من المخطوطات الموجودة حاليا بمكتبة بغداد بالعراق تؤكد أن اللقاء الذي وقع بين سيدنا موسى وسيدنا الخضر عليهما السلام كما ذكر في القرءان الكريم,وقع بأعالي مدينة تلمسان بهضبة لآلة ستي,وأن الجدارالذي تم إصلاحه ورفض أهل القرية استضافة سيدنا موسى وسيدنا الخضر عليهما السلام,أي منطقة "عين الحوت"وأن الجدار حسب تلك المخطوطات يتواجد بتلك المنطقة 'كما أن منطقة الغزوات تحتضن هي الأخرى ضريح سيدنا يوشع الذي تعتبره العديد من الروايات نبيا من أنبياء بني إسرائيل.

01- حساني مختار، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية ،ج4 دار الحكمة ،2007

02- محمد بن عبد الله التنسي ،تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدروالعقيان في بيان شرف بني زيان،حققه محمود عياد ،الجزائر عاصمة الثقافة العربية2007، ص286

03-جريدة الشروق, يهود الجزائر: التاريخ... المواقف و المصير,العدد 70 42 الثلاثاء 28 جانفي 2014.

05-البربر:

وقد تفرع البربر إلى طائفتين عظيمتين بحسب أسلوب الحياة و الطابع الحضارتين و هم البربر البدو و يسمون بالبتر ينتشرون في السهول ، و يتميزون بالرحلة ،و البربر الحضر و يطلق عليهم البرانس و هم مستقرون بالقرى الساحلية . و ارجع النسابة العرب نسبها إلى جد مشترك ، وقد نقل عبد الرحمن بن خلدون هذه النظرية في أنساب البربر عن نسابة العرب، أمثال صاحب رياض النفوس و معالم الإيمان ولكن ابن خلدون فصل ذلك تفصيلا و في ذلك يقول :" وأما شعوب هذا الجيل و بطونهم ، فان علماء النسب متفوقون على أنهم يجمعهم ،جدان عظيمان و هما برنس و ماذغيس ، و يلقب ماذغيس بالأبتر فلذلك يقال لشعوبه البتر و يقال لشعوب برنس بالبرانس" وقد برز بين النسابين خلاف هل هما لأب واحد ؟ فذكر ابن حزم عن ايوب بن ابي زيد أنهما لاب واحد _ على ما حدث عنه يوسف الوراق ،قال سالم بن سليم المطماطي و طاهر بن سرور الكومي و كهلان بن ابي لوا ، و هم نسابة البربر ، ان البرانس نسل مازيغ بن كنعان ،و البتر بنوير بن قيس بن عيلان ، و ربما نقل عن ذلك عن أيوب بن أبي زيد إلا رواية ابن حزم أصح لأنه أوثــق : أنظر خالد بلعربي , المرجع السابق ,ص 32

مخطوطات :

01)نسخة من مخطوط بغية الرواد في اخبارملوك بني عبد الواد لابي زكرياء يحي بن خلدون.

02)نسخة من مخطوط نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان للتنسي.

03)نسخةمن مخطوط المجموع لابي مرزوق ابو عبد الله محمد الخطيب.

-خرائط

01)خريطة لتصميم تلمسان المعماري من عهد المرابطين،مرورا بالزيانيين الى العهد العثماني .

02)خريطة للدولة الزيانية وحدودها مع الحفصيين والمرينيين .

الملاحق :

01-تلمسان عاصمة الزيانيين :

عرفت تلمسان أوج تطورها الحضاري مع تأسيس الدولة العبد الوادية أو الزيانية 1236م-1554م بقيت ثلاث قرون،العاصمة السياسية والاقتصادية والثقافية للمغرب الاوسط ولم تضاهيها اي مدينة [1] في الجزائر الحالية حتى فيما عانته وتكبدته من ويلات حروب وحصار.

تداول على الدولة الزيانية 35 سلطانا منهم من عمر طويلا ومنهم من لم يدم حكمه الا اياما :

السلطان الزياني	فترة حكمه	انجازاته
يغمراسن بن زيان	1236م-1283م	-تأسيس الدولة عاصمتها تلمسان -اسس علاقات ودية مع الحفصيين شرقا وغربا هادن المرينيين -استقطاب العلماء من الاندلس ومن المشرق
عثمان بن يغمراسن	1304-1283	-ربط علاقات تجارية مع مملكة اراغون باسبانيا ومع مون بولييه الفرنسية -عام 1296 بنى مسجدا على اثر وفات اخيه ابي عامر وكان بالمسجد جملة من العلماء الذين استقروا بتلمسان[2]
ابي حمو موسى الاول	1318-1308	-عمرانيارمم الأسوار ودعمها -انجز مطامير جماعية لتخزين القمح -شجع التجارة بين الشمال والجنوب وامن المسالك -بناء اول مدرسة لابني الامام (عبد الرحمن وعيسى)[3]
ابو تاشفين عبد الرحمن الاول	1337-1318	-اهتم بفن العمارة وبناء القصور -أسس المدرسة التاشفينية،حيث انه أبدع في زخرفتها -مات في 02ماي 1337 مدافعا عن عرشه وملكه من جيوش ابي الحسن المريني[4]

1- براهيمي نصر الدين ,تلمسان الذاكرة , الجزائر 2007, ص65
2-نفسه ,ص65
3-نفسه,ص66
4-نفسه ,ص67

ابي حمو موسى الثاني	1359-1389م	-اسس المدرسة اليعقوبية نسبة لابيه1363م وبنى مسجد سيدي ابراهيم المصمودي -احتفاله بالمولد النبوي الشريف -تأليف كتاب واسطة السلوك=رسالة في الممارسة السياسة لحفظ الجيوش والامراء والجند[1]
ابو العباس احمد العاقل	1431-1462	-بناء ضريح ابي الحسن الراشدي استاذ الشيخ السنوسي -سمح لليهود بالاستقرار لانعاش الاقتصاد التلمساني لان اليهود كانوا تجارا ذوي خبرة كبيرة في ميدان القوافل واشتغلوا في تصنيع الذهب والاحجار الكريمة وعلماء او اطباء[2]

02-البربر:

وقد تفرع البربر إلى طائفتين عظيمتين بحسب أسلوب الحياة و الطابع الحضارتين و هم البربر البدو و يسمون بالبتر ينتشرون في السهول ، و يتميزون بالرحلة ،و البربر الحضر و يطلق عليهم البرانس و هم مستقرون بالقرى الساحلية . و ارجع النسابة العرب نسبها إلى جد مشترك ، وقد نقل عبد الرحمن بن خلدون هذه النظرية في أنساب البربر عن نسابة العرب، أمثال صاحب رياض النفوس و معالم الإيمان ولكن ابن خلدون فصل ذلك تفصيلا و في ذلك يقول :" وأما شعوب هذا الجيل و بطونهم ، فان علماء النسب متفوقون على أنهم يجمعهم ،جدان عظيمان و هما برنس و ماذغيس ، و يلقب ماذغيس بالأبتر فلذلك يقال لشعوبه البتر و يقال لشعوب برنس بالبرانس" وقد برز بين النسابين خلاف هل هما لأب واحد ؟ فذكر ابن حزم عن ايوب بن ابي زيد أنهما لاب واحد _ على ما حدث عنه يوسف الوراق ،قال سالم بن سليم المطماطي و طاهر بن سرور الكومي و كهلان بن ابي لوا ، و هم نسابة البربر ، ان البرانس نسل مازيغ بن كنعان ،و البتر بنو بر بن قيس بن عيلان ، و ربما نقل عن ذلك عن أيوب بن أبي زيد إلا رواية ابن حزم أصح لأنه أوثـق.[3]

1-**نصر الدين إبراهيمي**,المرجع السابق ,ص 68.
2-نفسه, ص69.
3- خالد بلعربي , المرجع السابق ,ص 32.

مخطوطات :

01)نسخة من مخطوط بغية الرواد في اخبارملوك بني عبد الواد لابي زكرياء يحي بن خلدون.

02)نسخة من مخطوط نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان للتنسي.

03)نسخةمن مخطوط المجموع لابي مرزوق ابو عبد الله محمد الخطيب.

-خرائط

01)خريطة لتصميم تلمسان المعماري من عهد المرابطين،مرورا بالزيانيين الى العهد العثماني .

02)خريطة للدولة الزيانية وحدودها مع الحفصيين والموحدين .